

# شعور من الجدار

رواية  
د. نبيل راغب

الناشر



ميدلاين المحدودة

الغلاف والرسوم الداخلية

للفنان يوسف راغب

الناشر

شركة ميدلايت المحدودة

الجيزة : ٦ ش جزيرة العرب - المهندسين

ت : ٣٤٩٨١٦٢

في الفترة الأخيرة تحول التوتر إلى شد وجذب دائمين ومتصاعدين في اجتماعات مجلس إدارة « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » ، وخاصة بين رئيس الجهاز الدكتور حجر ، ونائبه الدكتور شداد . وكان المفروض في الجهاز منذ إنشائه أن يتولى حل كل المشكلات الإدارية التي تعاني منها البلاد ، سواء الراهنة منها أو المتجددة ، وخاصة أنه يضم كل علماء الإدارة وخبرائها الذين تلقوا تعليمهم في أكبر جامعات أوروبا وأمريكا التي أوفدوا إليها بعد إعلان الثورة الإدارية منذ ما يقرب من عشرين عاماً . وعادوا إلى وطنهم حاملين أعلى الشهادات وارتفاع الدرجات العلمية ليمارسوا مهمتهم القومية من خلال الجهاز .

ومع ذلك فقد فشل الجهاز في القضاء على أية مشكلة تعرض لحلها . كانت سياسة رئيسه الدكتور حجر الاستعانة بالخبراء الأجانب حتى يمكن الاستفادة بالتطورات التي تطرأ على علوم الإدارة أولاً بأول ، وبذلك يظل الجهاز ملماً بالحدث

الإنجازات الإدارية • ونظرا لأن الدكتور حجر ظل على قمة الجهاز منذ إنشائه ، فقد أصبح مركز قوة وذا صلات متشعبة ومتوغلة في معظم الهيئات والمؤسسات والأجهزة والإدارات التي طلبت مساعدته في حل مشكلاتها الإدارية • وكان يعتبر نفسه رائد الإدارة الحديثة في البلاد ، ولذلك لم يكن على استعداد لقبول أية معارضة من أية أطراف أخرى ، وخاصة من الدكتور شداد نائبه الذي وقف له بالمرصاد في مسألة استدعاء الخبراء الأجانب بداع وبدون داع !

كان الدكتور شداد يؤمن بأن المشكلات الإدارية مشكلات محلية وخاصة بكل دولة على حدة ، إذ أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بنوعية الإنسان الذي يتسبب فيها أو الذي يقوم بحلها • صحيح أن علوم الإدارة علوم أصبحت ملكا للعالم كله الآن ، وأن قوانينها ونظرياتها شبه متفق عليها من الجميع ، لكن تطبيقها يختلف من دولة إلى أخرى اختلاف بصمات الأصابع ، ولذلك لابد أن يأتي الحل على أيدي أبناء كل دولة على حدة ، فهم أدري بنوعية البشر الذين يعايشون هذه المشكلات على أرض الواقع •

من هنا كان الاحتكاك الدائم بين حجر وشداد الذي يؤمن بأن ما تلقاه هو وحجر في الخارج من



علوم فى الإدارة لىس سوى مفاتيح للتطبيق على الواقع الذى لا ىمكن للأجانب أن ىعوا كل أبعاده وأعماقه وأغواره . لكن حبرا ىنادى بحنمية الاستعانة الدائمة بالخبرة الأجنبية ، وهو موقف أو قناع كان شداد ىرى أنه ىخفى تجته نواياه الحقيقية . فهو فى نظره لىس سوى انتهازى ىستدعى الخبراء الأجانب للاستفادة من الأموال التى تصرف عليهم ، ولتكوين علاقات ىستفید منها فى رحلاته إلى الخارج مرتین أو ثلاثا كل عام .

فى المرحلة الأولى من تأسيس « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » كان التعاون بین الحكومة والكتلة الشرقية تعاونا وثيقا . وكان الدكتور حجر ىشید فى كل محاضراته وتصريحاته ودراساته بالإنجازات الاشتراكية فى مجالات الإدارة وعلومها ، وغطى جدران الجهاز وقاعاته وممراته باللافتات والشعارات التى تقول من خلال إطارات مذهبة فاخرة : « الاشتراكية العلمية هى المنهج الصحى للإدارة الحديثة » ، « الإدارة هى الوجه الحقيقى لإرادة العمال والفلاحین » ، « الإدارة الناجحة هى الكفاية والعدل » ، « الإدارة العلمية حرب مستمرة ضد استغلال رأس المال » إلخ . وكان ىنادى فى كل المحافل العلمية بأن الإدارة الفعلية تبدأ من

« الميثاق الوطنى » وكتاب « رأس المال »  
لكارل ماركس ، وعلى هذا الأساس قام باستدعاء  
خبراء الإدارة السوفييت الذين سعدوا بدفع الجو  
وماء النيل وزيارة الآثار والنزول فى الفنادق الفاخرة  
ثم تطبيق مبادئ الإدارة الاشتراكية من خلال معهد  
الدراسات الاشتراكية .

وسرعان ما ثبت فشل التجربة ، لكن الدكتور  
حجر أحاط الفشل بكتمان شديد ودعاية مدوية عن  
نجاحها فى شتى المؤسسات والهيئات والأجهزة ؛  
وكان بالمرصاد الآلة محاولة قد يقوم بها شداد لتعرية  
الأوضاع الحقيقية التى تجعل من الجهاز تابعاً  
لتوجهات الحكومة وليس رائداً ومرشداً لها كما كان  
الهدف منه عند تأسيسه . فعندما فقدت الحكومة  
الامل فى قدرة السوفييت على دعمها وتنفيذ  
مشروعاتها سواء المدنية أو العسكرية ، بدأت تيمم  
وجهها شطر الغرب لعل الدول الرأسمالية تحقق  
ما فشلت فيه الدول الاشتراكية .

وكان حجر يملك قرنى استشعار قادرين على  
التقاط البوادر الأولى لآى تغيير فى المسار ، بحيث  
يعد نفسه تدريجاً لهذا التحول فيبدو أحد رواه  
وليس أحد ذيله . فمع عودة الخبراء السوفييت

إلى بلادهم أسرع بانزال كل اللافتات والشعارات الاشتراكية وترك الجدران خاوية الوفاض. في انتظار اللافتات والشعارات الجديدة التي لم تتبلور بعد ! وبدأ في أحاديثه وتصريحاته وندواته يلوح من طرف خفى بأن الاقتصاد الحر أثبت كفاءته في الانطلاق إلى آفاق المستقبل وتحقيق رفاهية الإنسان ، والدليل على ذلك القدرة الفائقة التي تدير بها الدول الرأسمالية شئون العالم ، ولذلك يجب أن تتحول الإدارة من المركزية المطلقة إلى اللامركزية التدريجية لإطلاق طاقات المديرين وأيديهم في مواقعهم التي هم أدرى بها .

ومع التحول الرسمي الكبير تجاه الغرب بصفة عامة وأمريكا بصفة خاصة أسرع الدكتور حجر بتعليق اللافتات والشعارات الجديدة ولكن من خلال الإطارات المذهبة القديمة : « الاقتصاد الحر طريق المستقبل » ، « اقتصاد السوق اطلاق لطاقت الفرد » ، « قانون العرض والطلب قانون أزلى أبدي » ، « الإدارة اللامركزية هي الحل » إلخ . وسرعان ما توافد خبراء الإدارة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ونظرات حجر لشداد تقطر بالتشفي والشعور بالزهو والنجاح لإستراتيجيته التي ستجعل مصر صورة أخرى من المجتمع الأمريكي البراق . وبعد أن كانت

رحلات حجر تمتد بين القاهرة وكل من موسكو  
وبيكين وبلجراد وبوخارست ، أصبحت تربط بين  
القاهرة وبين كل من واشنطن ونيويورك ولندن  
وباريس . وفى كل رحلاته ، سواء الشرقية أو  
الغربية ، كان سعيدا ومستمتعا بكل النتائج التى  
حققها .

لكن سعادته الغامرة لم تستمر إذ أن الحرية التى  
كان الخبراء الأمريكيون يتمتعون بها قد جعلتهم  
يصارحون الدكتور حجر ومجلس إدارته بالنتائج  
الحقيقية لمهمتهم فى مصر . فبعد دراسة ميدانية فى  
شتى المؤسسات والهيئات وتحليل لأساليب الإدارة  
فيها ، ختم كبيرهم تقريره بفقرة أصابت الدكتور  
حجر بصدمة كبيرة وفى الوقت نفسه غمرت الدكتور  
شداد سعادة فائقة لأن تقرير الخبر الأمريكى الكبير  
أكد صحة نظريته بأن الخبراء والعلماء من أبناء  
البلد هم أدرى بمشكلاتها وقضاياها . قالت الفقرة  
الآخيرة من التقرير :

- لقد طبقنا كل مبادئ الإدارة الحديثة وآخر  
ما توصلت إليه الأبحاث فى أرقى المراكز والمعاهد  
والجامعات الأمريكية وفى مقدمتها جامعات هارفارد  
وكولومبيا وبوسطن ، وللأسف فقد عجزنا عن تطبيق

أى من هذه المبادئ ، بل إننا عجزنا أيضا عن تحليل الأساليب المحلية التى تدار بها المؤسسات والهيئات والأجهزة فى مصر ، إذ بدت معقدة للغاية فى بعض الأحيان ، وغير مفهومة فى أحيان كثيرة ، لكنها بطيئة ومعوقة فى كل الأحيان . ونظرا لأن المفاتيح التى أتينا بها من مراكزنا العلمية لم تفلح فى فض أسرار وأساليب الإدارة المصرية ، فإننا نقر بفشلنا ونعترف بعدم جدوى ما قمنا به من تطبيقات وتحليلات ، ولذلك فنحن نختم تقريرنا بحكمة مصرية أعجبتنا للغاية لأنها تقول : « الرجوع للحق فضيلة » .

ولم يستطع الدكتور حجر أن يتكتم الفشل هذه المرة إذ فوجئ بالتقرير مترجما ومنشورا فى إحدى صحف المعارضة . وكان على وشك أن يتهم الدكتور شداد بتسريب التقرير إلى الصحيفة ، لكنه أراد أن يتأكد أولا من خلال ذيوله فى مجال الصحافة ، وبالفعل عرف أن الخبر الأمريكى الكبير هو الذى أعطى صورة من التقرير لأول صحفى سأل عنه . ولعن الدكتور حجر الديمقراطية فى سره ، فهى لا تبقى سرا فى طى الكتمان . فقد أسقط فى يده وهو يرى الصحف الحزبية وبعدها الصحف الرسمية تسدد السهام القاتلة إلى « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » ،

وطالب بعضها بإلغائه ، وفتح البعض الآخر ملفه الذى اشتم فيه رائحة شداد ورأيه المطالب برفض الاستعانة بالخبراء الأجانب • وفكر حجر فى التراجع فعلا وتبنى رأى شداد ، لكنه وجد فى هذا التراجع نوعا من التخلّى عن مكان الصدارة الذى احتله منذ إنشاء الجهاز ، وانتصارا ساحقا لخصمه اللدود شداد الذى أصبحت نظراته إليه تقطر تشفيا وزهوا وكأنه يجهز نفسه لخلافته !

لم تعد القضية فى نظر الدكتور حجر ، تلك المحنة التى تهز الجهاز من جذوره وتهدد بقاءه ، بل أصبحت بالنسبة له شخصا مسألة حياة أو موت ، لدرجة أنه يفضل إلغاء الجهاز على انتصار شداد واحتلاله مكان الصدارة والقيادة ، وهو ما لا يستطيع أن يتصوره مجرد تصور • إنه كابوس لابد أن يفيق منه بطريقة أو بأخرى • فلا حياة له بدون الجهاز ولا حياة للجهاز بدونه • وكان يحلو له أن يردد أمام زوجته جملة أثيرة عنده :

– أنا الجهاز الأعلى للإدارة العليا !

وكانت زوجته تعلق ضاحكة :

- لم يكن الملك لويس الرابع عشر مخطئاً  
عندما قال : أنا فرنسا !

لكن زمن الزهو والانتصار والدعابة رحل تاركا  
مكانه للتحدي والصمود ، فهل يمكنه العودة لهذا  
التحدى ثم الانتصار عليه ؟! لكن كيف ؟! كيف ؟!  
هذا هو السؤال الذى يتحتم عليه أن يجيب عليه  
وبأسرع ما يمكن ! فلاول مرة يسير الزمن فى غير  
صالحه !

• • •

حورية أبو الليل مديرة مكتب الدكتور حجر  
رئيس مجلس إدارة الجهاز ، سمرات فائنة تناهز  
الأربعين . عندما خيرا زوجها بين الحياة معه  
وإكمال دراستها في الخارج ، فضلت الدراسة عليه  
وحصلت على ماجستير في التنمية الإدارية ، وعادت  
منذ أكثر من عشر سنوات لتعمل مديرة للمكتب .  
كانت خفيفة الظل ، ملفوفة القوام بين نهدين  
متفجرين وانحناءات تتدفق بأموال الإغراء والجازبية ،  
أموال حاول الكثير من المعجبين الولهانين ركوبها  
وصولا إلى صخرة قلبها الشماء ، لكنها محاولات  
باعت بالفشل الذريع . فلم تكن ملهوفة على الزواج  
بعد تجربتها الأولى الفاشلة ، بل كانت ترى أن  
الحياة بدون زواج أفضل الف مرة من زواج تعيس  
فاشل ، تقضى العمر كله في إخفاء تعاسته وفشله عن  
عيون الآخرين كي تبدو أمامهم الزوجة المبتسمة  
المنشرحة دائما .

ومع ذلك لم يسلم قلبها من الوقوع بين أمواج



الغرام • كانت معجبة في بداية الأمر بالدكتور شداد الذي تجاوز الأربعين دون زواج لانهماكه في أبحاثه ودراساته ومؤلفاته ومحاضراته وندواته وسفرياته • فهو رقيق الحاشية ، قوى الشخصية ، وسيم الحيا ، غزير العلم ، جاد أكثر من اللازم • ويبدو أن عدم اهتمامه بحورية بصفة خاصة ، على النقيض من الرجال الآخرين ، قد جعلها تتعلق به ، فقد كان يعاملها كأنها أحد زملائه الرجال مما أشعل بداخلها جذوة التحدى الانتوى الذى انقلب بعد ذلك إلى اعجاب ثم حب دفين • لكنه لم يمنحها الفرصة حتى الآن كي تعبر عنه ! حتى اللفتات العابرة ، والومضات الطسارئة ، والنظريات الموحية ، والابتسامات المشحونة ، كان يتقبلها ضمن مظاهر السلوك الوظيفى التقليدى • ومع ذلك لم تياس إذ كانت تظن أن تحفظه تجاهها كان نتيجة لشهرة أبيها كمنوم مغناطيسى وعالم أرواح • فعلى الرغم من خبرته في علاج الأمراض النفسية والعصبية واشتراكه في مؤتمرات دولية خاصة بها ، فإن الدكتور شداد المؤمن إيمانا صارما بالعلم ، كان يرى في البروفيسير أبو الليل واحدا من بقايا الماضى الحافل بالشعوذة والدجل • لم يصرح بذلك وإن كان امتناعه عن الكلام عند ذكر أبيها يدل على عدم اقتناعه بل رفضه لوظيفته وعمله برغم شهرته المدوية وعيادته الفاخرة

فى قلب العاصمة حيث ملتقى سيدات الطبقة الراقية  
على وجه الخصوص ، وبرغم نجاحه فى علاج ابن  
الدكتور حجر من عقدة الخجل التى أصابته وجعلته  
يتعثر تماما فى معاملته للآخرين ، فكان يتحاشاهم  
ويهرب منهم قدر إمكانه حتى أوشك أن يعتزل الحياة  
تماما . ومنذ شفاء ابنه أصبح الدكتور حجر يكن  
للبروفيسير أبو الليل كل احترام وتقدير وإعجاب  
بل واقتناع بقدرته على الإتيان بما لا يتأتى للأطباء  
العاديين . بل إنه كان يؤمن فى قرارة نفسه بعالم الأرواح  
والغيبيات منذ أن كانت أمة تصطحبة فى طفولته  
وصباه إلى حفلات الزار التى كانت جدته تقيمها ،  
كى يلهو مع أقرانه فى حديقة البيت . لكنه كان يتسلل  
إلى قاعة الحفل ليستمتع بصفة خاصة بلحظة خروج  
الاسياد المشحونة بدقات الطبول المسعورة والتشنجات  
الصارخة ، والرقصات المجنونة ، والشهقات  
المتأهة !

كبر الدكتور حجر وتفوق فى حياته العلمية  
وحصل على أعلى الشهادات من الجامعات  
الأمريكية . وبرغم حرصه على الظهور دائما بمظهر  
العالم الضليع المتبحر ، إلا أن ركن الخرافات المظلم  
فى وجدانه المبكر ظل على رسوخه بحيث كان ينضج  
على سطح كلماته وأفكاره من حين لآخر سواء بوعى  
أو بدون وعى ، مما جعل الدكتور شداد يصرح ذات

مرة لحورية. في لحظة من لحظات المصارحة النادرة  
أن كثيرا من الذين سافروا إلى الخارج لإكمال  
دراساتهم العلمية لم يتخلصوا من خرافات الطفولة  
وأوهامها لأن عقولهم تحولت إلى خانات يحتفظون  
فيها بكل المتناقضات التي لا يمكن أن تتفاعل مع  
بعضها بعضا . فهذه خانة للعقاريات والجن والأشباح ،  
وأخرى للذرة ، وثالثة للكمبيوتر . . . وهكذا دون  
أدنى صلة بين خانة وأخرى . وعند التعامل مع  
مواقف الحياة المختلفة ، تتعامل كل خانة مع كل  
موقف بمعزل عن الخانات الأخرى ، وبذلك يبدو  
الإنسان وكأن له أكثر من عقل وأكثر من شخصية !

كان الدكتور شداد يتكلم بصفة عامة لكن حورية  
كانت تدرك أنه يقصد الدكتور حجر على وجه  
التحديد وإن لم يصرح بذلك . وبرغم موقف شداد  
المتحفظ تجاه أبيها بصفة عامة والدكتور حجر بصفة  
خاصة ، فإنه لم يطفىء إحساسها الحميم تجاهه .  
كانت نظرتها إلى الحياة والبشر عملية للغاية ،  
فليغن كل على ليله ، فكل يملك الحرية ، مطلق  
الحرية ، في أن يؤمن بما يشاء وفي أن يسلك كيفما  
يشاء . ولذلك فهي تحب كل الناس برغم التناقضات  
المصارحة فيما بينهم : الدكتور حجر بأفقه الضيق ،  
وإنانيته الشديدة ، وإنكبابه على ملذات الحياة

المرفهة ، واصطياده للمغانم المادية ، وحرصه على المصالح الشخصية ، وانتهازيته التي تحدد له من أين تؤكل الكتف ؟! كذلك تحب إباها البروفيسير أبو الليل برغم أنها لا تدرك أية فوارق يمكن أن تفصل بين عالم الوهم وعالم الحقيقة في وظيفته ، وإن لمست بنفسها قدرته الخارقة في عالم التنويم المغناطيسي ، وخاصة في مجال الإيحاء إذ يستطيع أن يوحي للحاضرين بأية أصوات أو مشاهد فيسمعونها أو يرونها بالفعل ! أما عن صلاته بعالم الأرواح والجن فصلات غامضة لا يفصح عنها أبداً وأن كانت تتذكر في صباحها ذات ليلة استيقاظها على أصوات كثيرة ومدغمة صادرة عن مكتب أبيها ، فتسللت إليه لتتصلصص عليه من ثقب المفتاح لترى أضواء ذات ألوان غريبة ووجوها عديدة ذات نظرات خارقة ، ولولا أن أمها نهرتها عندما استمعت إلى شهقتها لوأصمت تلصصها المثير !!

لم تكرر حورية هذه المحاولة وإن كانت قد تذكرت تلك الليلة في أعقاب المازق الأخير الذي وقع فيه الدكتور حجر . صحيح أنها تحب الدكتور شداد وتتمنى له أرفع المناصب لكن تحفظه المقيت معها جعلها تفكر في مساعدة الدكتور حجر بطريقة أو بأخرى حتى تواصل الضغط عليه بحيث لا يجد في

النهاية صدرا حنوناً في الجهاز سواها • كانت تضغط عليه من كل الزوايا بطريقة دبلوماسية وغير محسوسة حتى يسقط أخيراً في زاويتها مثل ثمرة ناضجة شهية للأكل !

شعر البروفيسير أبو الليل بالحيرة التي انتابت ابنته وأصابها بالشروع المتواصل • لم تكن حاسته السادسة لتخطيء أبداً وهو يقرأ ما يدور داخل الآخرين كأنهم كتب مفتوحة أمامه يقلب فيها ما شاء أنه من صفحات • عندما أوشكت على أن تفتح قلبها لأبيها بادرها هو بالحديث وكأنه على دراية بما يدور في الجهاز • قال :

— كل عقدة ولها حلال •• ما تنشره الصحف عن الجهاز مجرد زوينة في فنان •• وأنا تحت أمر الدكتور حجر في أية مساعدة يطلبها !!

— الدكتور حجر يكن لك يا بابا كل احترام وتقدير وإعجاب منذ أن عالجت ابنه •• لكن للأسف فإن تخصص الجهاز في علم الإدارة ليس له علاقة بعلم الأرواح !

•  
ابتسم البروفيسير أبو الليل في ثقة بالغة وهو

يحك شعيرات لحيته البيضاء الدقيقة حول أسفل ذقنه  
بأصابعه النحيلة :

- ولماذا لا يستعين الدكتور حجر بقدراتي  
وخبراتي ؟! إنه لن يخسر شيئاً على أية حال !

- لا تتصور يا بابا كم سيكون الدكتور حجر  
سعيداً إذا علم أن في مقدورك مساعدته فعلاً !

أطلق أبو الليل نفساً صافياً طويلاً من دخان  
غليونه :

- لن أساعده بنفسى .. فالإدارة ليست تخصصى !  
وإنما فى إمكانى أن أستحضر من يمكن مساعدته على  
أعلى المستويات !

اعتدلت حورية فى جلستها بعد أن كانت تضع  
ساقاً على ساق :

- إذا كنت جاداً يا بابا .. فإن ما تقوله أمر فى  
منتهى الخطورة !

- وهل عهدت فى أبوك الهزل من قبل ؟!

- أسفة يا بابا .. لم أقصد هذا على الإطلاق !

- أعرف انكم استعنتم بخبراء في الإدارة من الشرق ثم من الغرب .. وقد فشلوا جميعا .. ويبدو أن مشكلات الإدارة في مصر معقدة وغامضة ومتشعبة للغاية بحيث لا يقدر على حلها سوى أصحاب المواهب الخارقة والقدرات العبقريّة !

- ومن أين لنا بهذه المواهب الخارقة والقدرات العبقريّة !؟

سحب البروفيسير أبو الليل نفسا عميقا من غليونه قائلا :

- أخبرى الدكتور حجر بأن في إمكانى أن أستدعى مشهورى الجبار ملك الجن وطاقمه الخاص به لحل كل مشكلاتكم الإدارية حلا جذريا !

فغرت فاها وبلغت عينها العسلتان الواسعتان أقصى اتساع لهما مع وميض متسائل :

- وهل يمكن أن يقبل الدكتور حجر هذه الفكرة المذهلة !؟

- لن أضغط عليه اذا لم يقتنع بها .. فلا يعقل  
أن تكون المساعدة بالإكراه !!

- لكن كيف يمكنني أن أنقلها إليه وأن  
أشرحها له ؟!

- إذا لم يكن هذا في إمكانك .. فليفضل بزيارتي  
في العيادة وسأشرح له كل شيء بالتفصيل ! وإن كنت  
أفضل أن تقومى أنت بمهمة النقل والشرح حتى  
تصبح لك اليد الطولى في كل شيء بعد ذلك !

واصلت حورية تساؤلاتها اللاهثة :

- وكيف سيتم الاستدعاء ؟! وكيف سيقوم  
شهورش بمهمته ؟ وهل سيتقبل الناس وجود جن  
بينهم بهذه البساطة ؟! إن الموضوع مذهل وأصعب  
من أن يستوعبه أحد !! وإذا تحقق بالفعل فإنه يمكن  
أن تترتب عليه نتائج لا يمكن التكهّن بها !!  
فالمسألة ....

قاطعتها أبوها برقة وهو يشعل غليونه من  
جديد :

- لا تحملى هما .. سأقوم بترتيب كل شيء



بمجرد موافقة الدكتور حجر وموافقة شهورش  
ايضا !!

- وهل يمكن أن يرفض شهورش تلبية طلبك ؟!

- لا أعرف على وجه اليقين .. لكنه لم يرفض  
لى طلبا من قبل .. فهو جنى صديق ورقيق ومتواضع  
للغاية برغم مكانته كملك للجن ! أما بالنسبة  
لتساؤلاتك المحمومة هذه فأنت محقة فيها تماما ..  
وسأجيبك عليها بالتفصيل .. قد تحدث بعض  
التعديلات فى اللمسات النهائية بناء على اقتراحات  
شهورش فى حالة موافقته لكن أعتقد أن فكرنا واحد  
إلى حد كبير !!

اقتربت بمقعداها من مقعد أبيها وعناصر التشويق  
وحب الاستطلاع سهام نارية متطلقة من عينيها  
الواسعتين :

- وأنا كلى آذان صاغية !

• • •

دق الدكتور حجر اللوح الزجاجى على سطح  
مكتبه بقبضة يده وهو يكاد يصرخ تحت وطأة الدهول  
وعدم القدرة على الاستيعاب والتصديق :

- هذا أمر اغرب من الخيال ؟! وحتى إذا  
صدقنا أنا هذا المستحيل فكيف يصدقه غيرى ؟! إن  
مجرد إعلان هذه الحقيقة على الملا كفيل بإرسالنا  
على الفور إلى مستشفى الأمراض العقلية ! قولى  
شيئا آخر .. لابد أن البروفيسير أبو الليل يريد أن  
يداعبنا .. لكننا فى مازق ولسنا فى حالة نفسية تسمح  
بالدعابة والهزل !!

صمت حجر ليلتقط أنفاسه فانتهزت حورية  
الفرصة لتشرح له التفاصيل التى يمكن أن تدخل  
السكينة إلى قلبه :

- أولا .. إذا جاء شهورش إلى الأرض مع  
طاقمه فسوف يتخفون فى زى البشر الذين لن يلمحوا  
شيئا غريبا أو عجيبا فيهم !!

- وبأية صفة سيأتون ؟! وماذا عن الدولة التي ستوفدهم ؟! لابد أن يتساءل الناس عن جنسيتهم وخبرتهم ومؤهلهم ! وإذا تغاضى الناس العاديون عن ذلك فلن يتغاضى المسؤولون .. فهم في النهاية أجنب ولابد من التأكد من هويتهم !!

ابتسمت حورية ابتسامة ناضحة بالثقة وقد وضعت ساقا على ساق :

- لا تحمل هما .. سيأتون بصفتهن خبراء من الأمم المتحدة .. ولهم إنجازات سابقة في مجال التنمية الإدارية وخاصة في الدول النامية !!

لم يتخل حجر عن جلسته المشدودة في مقعده :

- إن أسئلة شداد الخبيثة كفيلة بتعريتهم تماما .. أى فضحنا وهدم الجهاز كله فوق رؤوسنا .. عندئذ سيصبح المازق الذى نعانى منه الآن حلما جميلا لا نستطيع الإمساك به !!

- وهل تظن أن الدكتور شداد أكثر خبثا ودهاء من الجن ؟! لا تكن متشائما إلى هذا الحد يا دكتور حجر !!

- ما تقولينه ليس لعبة مسلية يمكن أن نخسرها  
ضاحكين !! إن خسارتها لا تعنى سوى نهايتى أنا  
بالذات ! ولست فى حاجة إلى المزيد من شماتة شداد  
وغيره !

نهضت حورية من جلستها قائلة فى يأس :

- حضرتك تكلمنى كما لو كنت أملك القدرة على  
إجبارك أو الضغط عليك .. إننى أعرض عليك  
هذا المشروع كمجرد اقتراح قابل للرفض أو التعديل  
أو القبول .. ولسيادتك مطلق الحرية فى اختيار  
ما تراه مناسباً !!

نهض بدوره وراء مكتبه وأمواج الحرج والتردد  
تجتاحه :

- انتظرى يا حورية .. الكلام أخذ وعطاء ..  
لا تؤاخذينى فما سمعته ليس بالأمر السهل .. هن  
فضلك اجلسى فالموضوع فى حاجة إلى أن يقتل بحثاً  
قبل الشروع فيه !!

عادت إلى جلستها وابتسامة الثقة تغمر وجهها  
فى حين استرخى حجر بعض الشيء فى مقعده الجلدى  
الريثير وهو يتساءل :

- أحيانا يصدق الإنسان ما يحدث في الحلم  
ويتوقع تحقيقه في حين يعجز عن تصديق الواقع الذي  
يبدو أمامه كالمستحيل تماما !!

- إن غدا لناظره قريب !!

- على رأيك ! فلا داعى لكل هذا التوتر ..  
فربما رفض شهورش المجيء ويصبح الموضوع كله  
كانه لم يكن !

- لابد ان تكون سيادتك مؤمنا أولا بعالم  
الأرواح والغيبيات حتى تقتنع بالمشروع !!

- سبق لى أن حضرت جلسات تحضير أرواح  
ممتعة مع أبليك .. وخاصة أيام إشرافه على علاج  
ابنى .. لكن الإيمان النظرى شئ والممارسة العملية  
شئ آخر .. أنا مؤمن بوجود الجن لكن رؤية  
شهورش بصفة شخصية لابد أن تكون شيئا مرعبا !!

- العبرة بالنتائج العملية .. وإن كان استحضار  
شهورش ليس بالأمر السهل .. فسوف يبذل أبى  
جهدا عصبيا ونفسيا وروحيا جبارا حتى يقنعه ..  
وأتمنى أن تنجح المهمة حتى أكون عند حسن ظنك !

- إذا كللت المهمة بالنجاح .. فساقوم بترقيتك  
إلى درجة باحث أول .. وهى التى تعادل درجة  
وكيل وزارة فى الكادر المالى !!

أسبلت عينيها بحياء العذارى :

- لا يهمنى سوى رضاك عنى !

- أما من جهة شداد فليذهب إلى الجحيم ..  
فهو لا يمثل أية مشكلة بالنسبة لهذا الموضوع ..  
وخاصة أنه لا يؤمن أصلا بالغيبيات .. وقد يشك فى  
جنسياتهم .. لكن شكه لا يهم .. فموظفو الأمم  
المتحدة موظفون دوليون ومسألة الجنسية ليست فى  
الاعتبار !

- ستكون ضربة معلم لم تحدث فى تاريخ البشرية  
من قبل !

- لكن لابد أن اكون على علم بكل تفاصيل  
وإجراءات وصولهم واستقبالهم حتى يبدو كل شئ  
طبيعيا ومنطقيا !

- بالطبع .. سيادتك الكل فى الكل !!

اطلق حجر ضحكة جزلى كالطفل عندما يحصل  
على لعبة جديدة :

- إذا نجحت هذه المهمة فلن تكون ثورة إدارية  
على مستوى مصر فقط بل على مستوى العالم  
أجمع .. فالجن لا يعرفون العوائق والعقبات ..  
وبين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى  
حال !!

• • •

عقد شهورش الجبار اجتماعا طارئا لمجلس  
الجن للرد على الرسالة التي بلغته من البروفيسير  
ابو الليل . لم يكن شهورش يحب أن يتخذ أى  
قرار أو يخطو أية خطوة دون استشارة طاقم مساعديه  
ومعاونيه . فهو يحب أن يشرك الجميع فى تحمل  
المسئولية ولذلك يشعر كل مواطن فى مملكته بالانتماء  
لدوره فى تشكيل مصير أمته ، ويكن كل الحب  
لشهورش ليس لسلطته كملك ولكن لمكانته كأكبر .  
حتى مائدة الاجتماعات أصر على أن تكون مستديرة  
حتى تتساوى الآراء فى ثقلها وأهميتها دون أن يكون  
هو راسا للمائدة .

أصيب الجن بالدهشة بل والذهول لأنه لم يحدث  
من قبل أن طلب شهورش عقد اجتماع طارئ .  
فكل شئ فى مملكة الجن يسير طبقا لنظام يجمع  
بين الدقة والمرونة ، وكل مواطن يعرف دوره جيدا  
ويؤدى واجبه على خير وجه ، ولذلك فهم لا يعرفون  
الطوارئ أو الهزات أو الصدمات أو الأزمات أو



الضغوط اليومية . ومن هنا كان ذهولهم لهذا  
الاجتماع الطارئ الذى اقتصر على شهورش وطاقم  
مساعديه الخاص المكون من أربعة من الجن :  
باندورا ورافد وتفاحة ووافد .

جلسوا حول المائدة المستديرة البلورية الحمراء  
وقد أضيئت المشاعل المثبتة فى الجدران النحاسية  
اللامعة لترسل ضوءها الفضى الحانى المتمزج بأبخرة  
معيقة يعطو الفل والياسمين والقرنفل . ران الصمت  
الرهيب على الحاضرين وهم ينظرون إلى الحمرة  
الخفيفة فى عيني شهورش الواسعتين ، وحاجبيه  
المعقوفين وأذنيه المعقوفتين عند القمة ، وعباءته  
السوداء التى انداحت من على كتفه الأيمن والتى  
تناقضت مع بياض وجهه الناصع . قال بصوت  
جهورى رددت أصداؤه الجدران النحاسية :

- بداية .. أحب أن أطمئنكم ان هذا الاجتماع  
الطارئ ليس له علاقة بمملكتنا .. فنحن كما  
تعلمون لسنا فى حاجة إلى إجراءات استثنائية ..  
وإنما طلبت عقد الاجتماع لرسالة بلغتنى من صديق  
أرضى عزيز علينا هو البروفيسر أبو الليل ..  
يستغيث فيها بنا من أزمة الملت ببلده .. وأكد انها  
أزمة مستحكمة فشل الشرق والغرب فى حلها ..

وأصبحت من الصعوبة والتعقيد والتشعب بحيث  
صارت في حاجة ملحة لجهود الجن لحلها !!

صمت شهورش ليرى أثر كلامه على وجوه  
الحاضرين ، وخاصة باندورا الجنية الجميلة الساحرة  
الشقراء ، ذات العينين البنفسجيتين الواسعتين  
والجدائل الذهبية اللامعة الطويلة المتهدلة على كتفيها  
وعباؤها الحريرية الحمراء القانية التي استرخت  
على صدرها الناهد ؛ فقد كانت عنده بمثابة الابنة  
الاثيرة إلى قلبه . شعرت من نظراته المطلطة عليها  
أنه يرغب في سماع رأيها فقالت :

- في هذا الكون كل مخلوق مسئول عن  
تصرفاته .. ولدينا في المملكة ما يكفينا من المسؤوليات  
والمجهودات التي يتحتم علينا أن نبذل في سبيلها كل  
قدراتنا وطاقاتنا حتى نكون عند حسن ظن مواطنينا !

ربت شهورش بيده على سطح المائدة البلورية  
فومض السوار الماسي في معصمه وهو يرد  
بابتسامه حانية :

- عندك حق تماما .. وإن كان لى رأى مخالف  
بعض الشيء .. فقد اعتاد البشر أن يستغلوا أسماءنا

فى الدجل والشعوذة .. كل ىررد أن ىخدع الآخرىن  
لىستولى على ما فى جىوىهم .. ونحن منهم براء ..  
فهذا ىدعى أنه ىملك خاتم سلیمان .. وذاك ىعلن  
أنه عثر على مصباح علاء الدین وىحكة من ىده  
ىخرج منه المارد المحبوس قائلاً فى بلاءة شدىة :  
شبك لىبك .. عبدك بین إىدیک ! وكأننا تحت  
امرهم لتلبیة رغباتهم التافهة وأوهمهم السخیفة !  
فهم مخلوقات خاملة كسولة ترید أن تحصل على  
كل ما تتمناه دون تعب أو تفكر .. وكأننا نحن  
ادواتهم لتحقیق أحلامهم المراهقة .. وبالفعل حقق  
كتاب الروایات والمسرحیات والأفلام ثروات ضخمة  
لاستغلالهم خاتم سلیمان ومصباح علاء الدین وقمقم  
المارد فى أعمالهم .. وهم بذلك باعوا الأوهام للسذج  
والبلهاء والمراهقین .. وفى الوقت نفسه رسموا لنا  
صورة زائفة مشوهة فى أذهان البشر الذین لا یعرفون  
أننا مخلوقات جادة ، مكافحة ، تدرك قوانین الكون  
وتعمل من خلالها بأسلوب منهجى علمى متطور  
لا یمت للشعوذة والدجل بصلة من قریب أو بعیة ..  
فى حین ىبیع الدجالون من البشر الأحجبة والتماثم  
مدعین اتصالهم بنا !!

صمت شهورش فقد كان ىحب أن ىقرأ عیون  
مساعدیه قبل أن ىصرحوا بأرائهم . قال الجنى وافد

وهو يزيج شعره الأسود الفاحم اللامع إلى الخلف  
فتألق وجهه الناصع البياض :

- وهل نحن مسئولون عن هؤلاء المغفلين ؟!  
فليظنوا ما شاء لهم الظن !

- فلنكن نحن أكثر نضجا وأعمق وعيا ..  
فالكون كله وحدة واحدة تسبح بحمد الخالق  
عز وجل .. والبشر إخوتنا في هذا الكون .. فإذا  
كانت الأنانية والجشع والنرجسية قد أعمت بصيرتهم  
قبل بصرهم .. فلنلقنهم درسا في التعاون والتألف  
والصداقة والحب والكفاح من أجل مستقبل يسوده  
السلام والتقدم والرفاهية والحضارة !

تساءل الجنى رافد دون أن يمنع ابتسامة  
ساخرة :

- وطبعاً يهدف البشر إلى الاستفادة بالخوارق  
التي أشتهرنا بها في تحقيق رغباتهم وحل مشكلاتهم  
دون أى جهد من ناحيتهم .. وبالتالي سنغريهم  
بالمزيد من الكسل والتثاؤب والنوم !

علق شهورش بنبرات أبوية :

- البروفيسير أبو الليل نفسه اتفق معى على عدم اللجوء إلى استخدام الخوارق إلا فى الحالات القصوى من المازق الطارئة .. أما فيما عدا هذا فليس هناك سوى استغلال طاقات الذكاء والعقل والتحليل والدراسة من خلال نظرة ثاقبة لا تخيب .. كذلك فإن اللجوء إلى الخوارق فى أضيق الحدود ضرورة يحتمها وجودنا بين البشر الذين لم يالفوا مثل هذه الخوارق التى يمكن أن تحدث اضطرابا أو فوضى أو قلاقل أو شائعات نحن فى غنى عنها .. فسندهب إلى الأرض لحل مشكلاتها الراهنة وليس لمضاعفتها !!

علقت الجنية تفاحة التى تناغم شعرها الفضى مع عينيها الرماديتين الواسعتين وعباءتها الزرقاء الداكنة وهى تتساءل :

- هل يعنى هذا أننا سنغير زينا وملامحنا حتى لا نبدو نشارا وسط البشر ؟!

أجاب شهورش باقتضاب :

- إلى حد ما .. وهذه ليست مهمة صعبة .. فالمفروض فينا أننا خبراء إجانِب أوفدتننا الأمم المتحدة لحل مشكلات محددة !

علقت باندورا بنيرات حاسمة :

- يبدو أن البشر لم يتخطوا بعد مرحلة الطفولة  
والمراهقة .. يريدون دائما من الكبار أن يحلوا لهم  
مشكلاتهم !

ابتسم شهورش فامتزجت حمرة عينيه بدهاء  
دفين :

- وفي الواقع أن هذه المهمة هي لصالحنا  
أيضا .. فأنتم تعرفون أن مملكتنا تقع تحت المقابر  
التي كانت تمثل في الماضي منطقة غاية في الهدوء  
والسكون والمهابة والوقار .. أما الآن فالضجيج  
لا ينقطع فوق رؤوسنا .. عجلات السيارات وعربات  
الباعة الجائلين وفرق الكرة الشراب .. فقد نفّس  
الأحياء الأموات في سكنى المقابر .. وأنتم أنفسكم  
أصبحتم تنفرون من نشع المجارى في أسقف منازلنا  
الجميلة الرقيقة التي على وشك التشوه والانهيال ..

ثم أشار بذراعه ذات السوار الماسى المبهى الى  
أحد أركان القاعة حيث أصاب السقف النحاسى خضرة  
صدئة وأضاف :

حتى قاعة القصر لم تسلم من زحف المجارى

برغم السيف النحاسى .. ولذلك فإن مساعدتنا لهم  
لحل مشكلاتهم هى فى الوقت نفسه حل لمشكلاتنا  
نحن أيضا .. فلا يعقل أن نشيد هذه المدن الجميلة  
المبهرة كى يفسدها البشر بمخلفاتهم ..

لم يستطع وافتد أن يخفى دهشته وسخريته :

- كيف يملك البشر كل هذه الأجهزة المعقدة التى  
يسمونها بالإلكترونية ويعجزون عن حل مشكلاتهم  
الأساسية ؟!

أجاب شهورش بصوته الهادئ الوقور :

- الحاسبات الإلكترونية ليست سوى أدوات تحت  
أمر العقل .. فإذا عجز العقل عن الابتكار والتطوير  
والانطلاق إلى آفاق المستقبل .. فإن هذه الأجهزة  
الإلكترونية تكرر برامجها وتعجز عن مواكبة تيار  
الحياة المتجدد دوما .. والبشر كثيرا ما ينسون  
أن الصدا يمكن أن يصيب عقولهم إذا أهملوا  
استخدامها !!

ملأت تفاحة صدرها برائحة الفل والياسمين  
والقرنفل وقد ومضت عيناها فى ضوء المشاعل المثبتة  
فى الجدران النحاسية اللامعة :

- وكم ستطول هذه المهمة ؟ ومن سيقوم بها ؟!

اجاب شهورش وقد استرخى في مقعده العاجى  
الوثير :

- بمجرد الانتهاء من المهمة سنعود فورا إلى  
مملكنا الحبيبة التى سنفتقدها كثيرا .. وأرجو أن  
تنجزها بأسرع ما يمكن .. أما عن الذين سيقومون  
بها فيكفينى اثنان من المساعدين !!

لم تكتم باندورا شهقة الدهشة بين شفتيها  
اللامعتين بلون الفراولة الناضجة :

- وهل ستقوم سيادتكم بالمهمة شخصا ؟! إن  
المملكة فى أشد الحاجة لرعايتك !!

- لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام !! فمسير  
المملكة ليس مرتبها بأى شخص .. مهما كان هذا  
الشخص .. فقد نجحنا فى تنظيمها وتسييرها طبقا  
لمنهج يلبي احتياجاتها ويطور أداؤها وليس طبقا  
لإرادة شخص أو رغبته !! ولذلك فنحن مجرد  
مشرفين على إدارتها .. ومن الطبيعى أن يحل محلنا  
مشرفون آخرون مع دورة الزمن .. والآن أسألكم



بلا اى حرج او حساسية : من منكم يرغب فى  
اصطحابى ؟!

رفع الاربعة اذرعهم على المائدة البلورية بالموافقة  
المتدفقة بالحماس الحار ، فابتسم فى سعادة غامرة  
قائلا :

- اريد أن أشعل لواعج الهوى بينكم مرة  
اخرى بعد أن لح رافد لوافد منذ أسبوع بأن العادة  
يمكن أن تطفئ جذوة الحب .. وأنا اريد لهذه  
الجذوة أن تظل متاججة حتى لا تفقدوا القدرة على  
الإتيان بالاعاجيب .. ولذلك قررت أن أفصل باندورا  
عن خطيبها رافد وتفاحة عن خطيبها وافد .. حتى  
تلسعكم نار الشوق مرة اخرى .. سأصطحب معى  
باندورا ووافد .. وعلى رافد وتفاحة الإشراف على  
إدارة المملكة مع فريق العمل المختص لحين  
عودتنا !!

تبادلوا نظرات مترددة طفحت على وجناتهم  
بحمرة تفاحية ثم قالوا بصوت واحد رددت الجدران  
النحاسية صداه :

- أمرك !

- ليست عندي أوامر أصدرها كما تعلمون ..  
ولكن عندي آراء أعبر عنها وعلى استعداد لتعديلها  
إذا لزم الأمر !!

علق وافد في حب وتبجيل :

- ونحن نعشق آراء سيادتكم .. فقد تعلمنا منها  
الكثير !

نهض شهورش بقامته الفارعة فومض حزامه  
الذهبي حول خصره النحيل وهو يقول في حسم :

- سترحل الليلة إلى الأرض .. البروفيسير  
أبو الليل سيكون في انتظارنا في تمام الساعة الثامنة  
مساء ..

نهضوا معه • كانت آذانهم معه لكن عيونهم  
تبادلت نظرات حانية ملهوفة وقد أوشكت على  
التخضب بدموع الوداع •

• • •

انطلقت السيارة السوداء الفارحة يقودها  
البروفيسر أبو الليل وإلى جواره جلست ابنته  
حورية في بلوزتها الصفراء وينطلونها الأسود الضيق .  
كانت الساعة المضيئة في تابلوه السيارة تقترب من  
الثامنة ، والليل يرخى سدوله الداكنة على الطريق  
الذى تلوى كالتعبان صعودا وهبوطا ، يمئة ويسرة  
بين المقابر على اليمين والمنشآت الحجرية ومدائن  
المصانع والمسابك على اليسار .

كان السكون يوحى برهبة عميقة لم يقطعها  
سوى خفيف إطارات السيارة على قار الطريق  
الخشن . حاولت حورية أن تتخلص من الرهبة  
السارية داخلها فابتسمت في تساؤل :

- استطعت بحرك أن تستدعى شهورش نفسه  
إلى الأرض .. لكن سحرك عجز عن الإيقاع بشداد !!  
- في حالة شداد لا تسأل عن سحري وإنما  
ابحثى عن سحرك !!

- أحيانا لا أجد فرقا بينه وبين الإنسان الآلى ..  
ويبدو أن قلبه قد نضب من العواطف والمشاعر  
تماما !

- لا يوجد إنسان بلا عواطف .. ولكن يوجد  
لكل إنسان مفتاح .. المهم العثور على هذا  
المفتاح !

- يبدو أن مفتاح شداد وقع في بئر عميقة  
مظلمة !!

أطلق أبو الليل ضحكة صافية وهو ينهب الطريق  
أمامه :

- شهورش في إمكانه العثور على هذا المفتاح !  
- الموضوع في نظرك مجرد دعاية عابرة ..  
أما أنا فأنظر إليه في منتهى الجدية !!

- لا أدري السر في إصرارك على هذا الرجل !!  
- بعد تجربتي الفاشلة في الزواج .. أدركت أن  
به من الصفات ما يجعل من الصعب صرف النظر  
عنه .. علم .. خبرة .. أمانة .. إخلاص ..

استقامة .. صراحة .. قوة شخصية .. ثبات على  
المبدأ .. عقل كبير .. بل يسود لى فى بعض  
الأحيان أن عدم تجاوبه معى من أسباب انجذابى  
إليه .. هل تذكر كيف كان زوجى السابق متدلها  
فى غرامى ولاهثا فى أعقابى وبمجرد أن خبرته بين  
ذهابى فى البعثة أو طلاقى منه .. اختار الطلاق  
كما يختار طبق اليوم ؟! لم يحتمل أن تصبح زوجته  
حاملة لدرجة الماجستير فى التنمية الإدارية فى حين لم  
يحصل هو إلا على درجة البكالوريوس بتقدير  
مقبول !!

انحرفت السيارة يمينا لتقف عند بداية طريق  
ضيق يخرق المقابر .. أطفأ أبو الليل الأنوار الكاشفة  
وهو يقول مداعبا :

- ربما يشعر بالغيرة عندما يجدها رئيسا لبعثة  
الشرف المصاحبة لشمهورش .. فانا واثق من  
إعجابهم بعقلك ورقتك وجاذبيتك !

- أرجو ..

قالتها فى اقتضاب ليجثم سكون ثقيل لم يقطعه  
سوى خفقات أجنحة بعض الطيور السوداء التى

طارت فوق الطريق بين المقابر • لم تحتل حورية  
وطأة السكون فسالت أباه :

- الساعة الآن الثامنة •• هل يمكن أن يخل  
شمورش بوعده وميعاده فنكون أضحوكة الجميع ••  
وفي مقدمتهم شداد الذي ينظر إلى الموضوع كله  
بمنتهى الريبة والشك لدرجة أنه قال صباح اليوم :  
عشنا وشفنا خبراء الأمم المتحدة يهبطون علينا  
كالقضاء المستعجل دون مقدمات ودون أن نعرف من  
هم على وجه التحديد بل ودون أن نعرف كيف تم  
الاتفاق معهم أساسا ؟! كنا في حكم المشاكسين والآن  
أصبحنا في حكم الطرايطر !!

- البشر وحدهم هم الذين يخلون بالوعد  
ويخلفون الميعاد !!

عند أول انحناء للطريق الضيق بدا رجل فارح  
القوام يرتدى حلة أنيقة داكنة اللون ، وقميصا  
ناصع البياض ، ورباط عنق أحمر ، وعلى عينيه  
نظارة ذهبية الإطار تحت حاجبيه المعقوفين ؛ وعلى  
يمينه فتاة شقراء فاتنة كللت رأسها بتاج من جدائل  
الشعر الذهبي الذي داعب البلوزة الحمراء المقيدة  
لقمى بركان صدرها ، وتناغم مع حزامها الذهبي

القباض على خصرها النحيل داخل البنطلون الكحلى  
الضيق المحيط بساقيها الملفوفتين فى رشاقة موسيقية ؛  
وعلى يساره شاب رشيق القوام ، واسع العينين  
السوداوين ، لامع الشعر الفاحم ، وقد ارتدى حلة  
فى لون السماء الصافية وقميصا كحليا دون رباط  
عنق .

سرت قشعريرة كهربية فى عروق حورية وهى  
لا تصدق عينيها لمراى هؤلاء القادمين من وسط  
المقابر وهم فى قمة الأناقة والسحر والجمال ! لابد  
أن يكون شهورش ومساعدوه ! كانت نظرات أبيها  
وميضاً من شعاع فضى وهو يفتح باب السيارة ويهرع  
لاستقبالهم مرحبا فى حرارة طاغية ! سلموا عليه  
بنفس الحرارة ثم على حورية التى هرعت لتقف  
خلف أبيها فى حرج وخوف باديين وهو يقدمها  
إليهم :

- ابنتى حورية .. مديرة مكتب رئيس « الجهاز  
الأعلى للإدارة العليا » ورئيسة بعثة الشرف المصاحبة  
لسيادتكم طوال مدة تشريفكم لنا على الأرض .

ابتسم شهورش وهو ينجنى مسلما عليها بعربية  
مشوبة بلكنة أجنبية :

– أهلا وسهلا ..

أضاف أبو الليل قائلا في لهفة :

– فلتتفضلوا في السيارة حتى نكون في مطار  
القاهرة الدولي في الميعاد المحدد !

ركب ثلاثتهم في المقعد الخلفي الوثير ، وحورية  
إلى جوار أبيها الذي عاد بسرعة إلى الخلف لينطلق  
على الطريق الرئيسي صوب المطار . كانت حورية  
تسترق النظر خلفها من حين لآخر وهي لا تكاد  
تصدق عينيها في حين قال شهورش :

– لم يكن هناك داع لإزعاجكم .. كان من الممكن  
أن نذهب إلى المطار فوراً !!

علق أبو الليل وهو يطوى الطريق تحت إطارات  
السيارة :

– أردنا أن يبدو كل شيء طبيعيا .. أقصد  
أرضيا .. قبل لقاء المسؤولين الذين في انتظاركم  
بالمطار .. فمثلا اكتشفت الآن أنه لابد من شراء  
حقائب يد لكم قبل الذهاب إلى المطار .. فلا يوجد  
خبراء أجانب بدون حقائب !



ضحك شهورش ضحكة مقتضية :

- أنتم ترهقون انفسكم بأشياء عديدة وثقيلة !!

- تلك هي ظروفنا التي لا مفر منها !!

- ونحن في خدمتكم ..

- عفوا .. كذلك فإن اسم سيادتك سيتغير

أيضا .. فهو معروف لدى الجميع هنا .. ويمكن  
أن يثير مشكلات نحن في غنى عنها ..

- اسمى العريق هذا .. لا يمكن أن أتخلى

عنه !

- بعد إذن سيادتك .. اتفقت مع الدكتور حجر

على أن يكون اسمكم هو دكتور ش . م . هورش  
حتى يبدو اسما أرضيا .. وفي الوقت نفسه نكون  
قد احتفظنا بالاسم العريق !

أجاب شهورش في اقتضاب :

- لا مانع ..

- أما الزملاء الأعزاء فستظل أسماؤهم كما هي

مع إضافة اللقب العلمي المعتاد : دكتور وافد ودكتورة  
باندورا ..

طغى الحسم على نبرات شهوersh :

- نحن لا نهتم فى الواقع بالاسماء أو الألقاب أو  
الكلمات الكبيرة على طراز « الجهاز الأعلى للإدارة  
العليا » . . فالأعمال والنتائج الإيجابية المثمرة هى  
وسيلتنا وغايتنا !!

شعر ابو الليل بجدية شهوersh البالغة وقد  
امتزجت بقوة طاغية خفية صادرة من المقعد الخلفى  
أوحى إليه بأن السيارة قد ضاعفت من سرعتها دون  
أن يضغط على بديل السرعة ! أما حورية فقد حاولت  
أن تحتفظ بيقظتها الواعية بقدر الإمكان حتى لا تقع  
تحت تأثير تنويم مغناطيسى جارف اوشك أن يطير  
بالسيارة بين طيات الأحلام ومجرات الأفلاك البعيدة  
عن الأرض بملايين السنين الضوئية !

• • •

(٦)

كان مطار القاهرة الدولي يتألق بأضوائه ويعج بالطائرات الصاعدة والهابطة في حين جلس كل من حجر وشداد في قاعة كبار الزوار ، وهما يتبادلان الكلمات المقتضبة والنظرات المتكررة إلى ساعة اليد ثم الساعة المعلقة على جدار القاعة . لاحظ شداد علامات القلق البالغة على وجه حجر وحركاته فسأله بدهائه المعهود :

- هل تشك في مجيئهم ؟!

- لماذا هذا التساؤل ؟!

- لأننى لم أحط علما بإجراءات الاتصال بهم واستدعائهم مثل المرات السابقة . . . ومعلوماتى لا تزيد على معلومات أعضاء مجلس الإدارة في هذا الشأن !

- تفضلت الأمم المتحدة بإرسال هؤلاء الخبراء كي نستفيد بعلمهم فيما يتصل بأخسر التطورات في

مجالات التنمية الإدارية .. ومنحتنا أولوية على  
دول نامية أخرى كانوا على وشك الذهاب إليها ..  
ولذلك حسم الموضوع في مدى يومين أو ثلاثة ولم  
يكن هناك وقت لعقد مجلس الإدارة .. ولا اعتقد  
أن مجلس الإدارة يمكن أن يعترض على مثل هذا  
المستوى من الخبراء !!

- وعلى أى أساس تم منح هذه الأولوية لنا ؟  
- أتذكر أن مصر تتمتع بمكانة دولية ممتازة ؟  
وأن استقرارها وتقدمها هما استقرار وتقدم لكل  
الدول المحيطة بها .. وخاصة الدول العربية ؟

لم يحب شداد أن يستدرجه حجر إلى هذه  
المنطقة الوعرة من الحوار فأثر الصمت وقراءة ملامحه  
التي تبدو في أحيان كثيرة أصدق من كلماته ، وخاصة  
ذلك القلق الذى يجتاحه ويدفعه إلى النظر إلى  
الساعة والوقوف بباب القاعة لعله يرى الوجوه التى  
حطم بها الليلة الماضية دون أن يراها من قبل ! وكيف  
يرaha ولم تقع عليها عين بشرية من قبل ؟

غمرت الخواطر الهائجة المضطربة فطغت على  
صوت ميكروفون المطار الذى يذيع مواعيد ودسول  
الطائرات ورحيلها أولا بأول • انتفض عندما شعر

بمن يريت على كتفه ، فالتفت إليه دون تفكير فإذا  
بشداد يقول له بهدوء قاتل :

- أعلن الميكروفون عن وصول الطائرة القادمة  
من نيويورك ..

ابتسم ابتسامة باهتة بلا معنى ، حاول أن يخفى  
بها أمواج القلق العارمة داخل كهوف نفسه المعتمة !  
فمن ينتظرهم قادمون من مكان ليس له أدنى علاقة  
بنيويورك !! لكن الاتفاق أكد وصولهم في نفس ميعاد  
طائرة نيويورك ، فإذا لم يصلوا في ظرف ربع ساعة  
أو نصف ساعة على أكثر تقدير فستكون الطامة الكبرى  
وسيدفع ثمن مقامرة مجنونة ليست لها أدنى علاقة  
بأى منطق بشرى !! هل جن ليعلن شيئاً من هذا  
القبيل دون أن يراهم أولاً مرأى العين ؟! ما وجه  
العجلة ؟! هل هو السعى اللاهث المحموم لرد الاعتبار  
في مواجهة حملة المعارضة المسعورة ضده ؟! إنه  
لا يشك في البروفيسير أبو الليل وسره البائع ! ومع  
ذلك لا يمكن الجزم بأن كل جوانب الموضوع وأطرافه  
المعنية تحت سيطرته تماماً ! أين أنت يا حورية ؟!  
هل وقعت في نفس المازق الذى أشعر بأنه فتح فوهته  
الآن لابتلاعى إلى الأبد ؟!

انهالت إبر الشك المحماة بالجمر على وجدانه  
فلم تترك فيه ثغرة إلا وأحرقتها ، وخاصة عندما  
تذكر مسئولى الجهاز وموظفيه الجالسين فى كافيتريا  
المطار والذين أصروا على أن يأتوا عن بكرة أبيهم  
للترحيب بالخبراء القادمين كعادتهم فى كل مرة !!  
وخاصة أنه إن تكون هناك برقية اعتذار أو تأجيل !  
فلم يحدث أن أرسلت العفارىت برقيات من قبل لأحد  
من بنى البشر !!

فجأة أضاء وجه حبيب مشرق فى عينى حجر !  
لقد صدق البروفيسير أبو الليل فى وعده وكللت مهمته  
التاريخية والأسطورية بنجاح سيكون نقطة تحول فى  
مسيرة البشرية جمعاء ! كانت حورية مقبلة مع الأمل  
كله صوبه فانطلق إليهم مرحبا ، ودون تفكير كاد أن  
يحتضن شهورش لكنه شعر بما يشبه الصدمة الكهربائية  
التي سرت فى يده برعشة وهو يهز يده بحرارة تكاد  
تلمسه لولا أن تخلص منها ، ثم سلم على الفاتنة  
الساحرة على يمينه والفتى الوسيم الرشيق فى حين  
كانت حورية تقدمهم لحجر بالاسماء والألقاب ثم  
لشداد الذى هرع خلفه .

سرت فى عروق حجر نشوة كالأحلام ، لم تجعله

يستعيد زمام المبادرة فحسب بل انطلقت به ليطير بين  
السحاب • قال بنبرات جزلى ومتهدجة :

- تفضلوا معى •• لابد انكم فى اشد الحاجة  
للراحة !

كان شمهورش على وشك أن يقول :

- لسنا متعبين •• ويمكننا بدء العمل فوراً !

لكنه تذكر حتمية رضوخه للتقاليد والقدرات  
البشرية المحدودة فاكتفى بأن يقول :

- وهو كذلك ! غدا نبدأ العمل !

ساروا صوب باب الخروج فإذا بطابور متناثر  
من الموظفين هرعوا للسلام على الخبراء الأجانب  
الذين ذعروا لعددهم الكبير وهم يسلمون عليهم تباعاً  
وينحنون بدون داع بل ويشدون على أيديهم بحرارة  
مبالغ فيها ! وكان شمهورش وياندورا ووافق قد  
كبتوا المجال الكهربائى داخلهم حتى لا يشعر به من  
يقترب منهم أو يسلم عليهم بحيث يبدو كل شيء  
طبيعياً !

عند باب الخروج فوجىء شمهورش بطابور من السيارات السوداء الفارحة كان فى انتظارهم ، واذ بأحد الموظفين يفتح له الباب ويظل منحنيا ، فلم يملك شمهورش سوى أن يدخل وخلفه حجر لتنتقل السيارة فى مهابة وتؤدة ، وخلفها السيارة التى ركبها شداد مع باندورا ووافد ثم بقية الموكب الذى ضاعف من سرعته على الطريق المؤدى إلى قلب القاهرة .

مال حجر على شمهورش قائلا بنبرات هامسة حميمة :

- سنقيم لسيادتك حفل استقبال وتعارف مساء غد ..

- وماذا عن الصباح ؟!

- للراحة والاستجمام .. أما بعد غد فمخصص لزيارة للمتحف المصرى وأهرامات الجيزة وسقارة ودهشور ...

قاطعته شمهورش بحسم :

- لم نأت لمصر للراحة والاستجمام أو للسياحة .. ولا داعى لحفل الاستقبال .. أما التعارف فأفضل أن يتم فى أثناء العمل !!



- ألا تريد سيادتكم مشاهدة الآثار والأمجساد  
المصرية على الطبيعة ؟!

- أجدادكم لم يستعينوا بخبراء من خارج مصر  
لإدارة شئونهم .. بل إنهم كانوا أول من علم البشر  
فن الإدارة وعلومها .. والهرم الأكبر في الجيزة أكبر  
دليل مادي ملموس على عبقريتهم الإدارية .. يكفي  
أن تسألوا أنفسكم .. على سبيل المثال لا الحصر ..  
كيف تمكنوا من تدبير طعام وإقامة عشرين ألف عامل  
اشتركوا في بناء الهرم ؟!

كان حجر قد استراح لتلاشى وطأة المجال الكهربى  
المحيط بشمهورش ، لكنه شعر بمغناطيسية فكرية  
صادرة عنه ، تكاد تجذبه إليه وتفنيه كما يجذب  
الثقب الاسود الشمس التى تتلاشى داخله ! إنه تحد  
من نوع جديد لا يستطيع أن يلم بأبعاده فقال  
مستسلما :

- حرية الاختيار مكفولة تماما لسيادتكم فيما  
يتصل بجدول الاعمال وتنظيم المشروعات .. ونحن  
تحت أمركم ورهن إشارتكم !

لم يحب شمهورش هذا الخنوع والاستسلام

والصمت الذى انزوى به حجر فى ركن المقعد الكبير .  
كان على وشك أن يلقي عليه بأسئلة محددة لكن  
عدد المارة فى شوارع مصر الجديدة أدهشه  
فتساءل :

- هل اليوم عيد أو مهرجان أو كرنفال ؟!

- لماذا ؟!

- الشوارع مزدحمة بالمارة أكثر من اللازم !!  
ابتسم حجر لأول مرة :

- هذا الحى هو حى مصر الجديدة .. وهو فى  
معظمه حى أرستقراطى .. ولا يعتبر من الأحياء  
المزدحمة بالسكان !!

- هل سترى ازدحاما أشد من هذا ؟!

- سترى شوارع ليس فيها موطىء لقدم !!

كتم شهورش شهقة كانت على وشك أن تفلت  
من حلقه :

- لهذه الدرجة ؟!

- هذه هى إحدى المشكلات التى فشلنا فى إدارتها  
وحلها !

ران الصمت وانهمك شهورش فى متابعة المراثيات  
خلف زجاج السيارة المعتم حتى توغلت فى قلب  
القاهرة فتحول حشر البشر إلى حشر للسيارات ذات  
الابواق التى لا تصمت ، وقنوات البشر تتدفق بين  
السيارات بحثا عن منافذ وثغرات تفيض بينها ،  
ونظرات الوجوه الشاحبة التى لا تلوى على شىء ،  
وخواطر شهورش وهواجسه التى أوحى اليه بان  
لجوءه للحيل الخارقة سيكون أكثر مما توقع حتى  
يعود إلى مملكته التى بدأ يحن إليها بأسرع ما يمكن !

• • •

عقد أول اجتماع موسع بين الخبراء الأجانب وأعضاء مجلس إدارة « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » لشرح الخطة التي سيتبعها الخبراء في أداء مهمتهم . كان حجر يشعر بأنه في يوم عرسه ونظرات الانتصار تتضح من عينيه في مواجهة الحاضرين ، وفي مقدمتهم شداد الذي لم يلتفت إليه كثيرا لتركيزه على كلمات وحركات الخبراء الذين أثاروا داخله مليون علامة استفهام دون أن يجد إجابة شافية واحسدة على إحداها سوى أنهم خبراء في التنمية الإدارية في الدول النامية ، وجنسياتهم تابعة لإمارة ليششتاين ، وإجادتهم للغة العربية كانت نتيجة لإيفادهم لبعض الدول العربية . ومع ذلك شعر بالأمس في جلسته إلى جوار باندورا ووافد وهم في طريقهم من المطار إلى الفندق بإثارة لا حدود لها ، وخاصة أن معلوماتهم الأولية عن مشكلات الإدارة في مصر لن تمنح أية فرصة لحجر كي يخدمهم ويتلاعب بهم .

كان حجر قد استعد للاجتماع بإخراج تلال من

الملفات والأضابير والدراسات وضعها على مائدة الاجتماع حتى كادت أن تحجب الرؤية بين بعض الحاضرين لولا انتصاهم بشدة ! وكان شهورش أو دكتور هورش ينظر من حين لآخر عبر نظارته الذهبية إلى الملفات بغيظ وكأنه يضمّر في نفسه شيئاً . وقرب نهاية الحوار والمداولة طلب حجر من دكتور هورش التفضل بدراسة هذه الملفات والتقارير حتى يكون على نور عند شروعه في دراسة الواقع ، لكن دكتور هورش أزاح التل القابع أمامه بعض الشيء وصرح بأنه يفضل أن يبدأ بقراءة الواقع قراءة علمية موضوعية ، وأنه إذا احتاج إليها فسيطلع عليها في الوقت المناسب . ثم أعلن بحسم في نهاية الاجتماع :

– سأبدأ بنفسى على الطبيعة دراسة ما تسمونه بالروتين أو البيروقراطية أو مشكلات الإدارة الحكومية بشكل عام . . . كما ستكون مشكلة الانفجار السكاني من نصيب الدكتور باندورا . . . ومشكلة محو الامة من نصيب الدكتور وافد . . . وقد نضطر في بعض الأحيان إلى ارتداء أزياء تناسب المهمة التي ستقوم بها . . . فلا يعقل أن اذهب بهذه الأناقة لكى أقف في طابور أصحاب الحاجة أمام موظف مطحون !

قالها ضاحكا وهو ينظر إلى حلتته الداكنة الفاخرة ، لكن الدكتور شداد علق فيما يشبه السخرية :

- لا تظن أن الأناقة ستسهل لك مهمتك يا دكتور هورث .. ربما كان العكس تماما .. فهناك شروط وأسباب أخرى لتسهيل المهام !!

- هل يمكن أن تدلني عليها يا دكتور شداد ؟!

- أفضل أن تراها سيادتكم بنفسك على أرض الواقع .. فليس من سمع كمن رأى !!

- وأنا متفق معك تماما في هذا !

ثم نهض شهورش قائلا في مرح وانطلاق :

- والآن هيا إلى العمل .. فليس لدينا ما يكفى من الوقت لمزيد من الكلام !

تحرك خارجا وفي أعقابه وافد وياندورا التي لم يرفع الحاضرون عيونهم عنها وعن عينيها البنفسجيتين الواسعتين ، ووجهها المرمري المشرب بالحمرة ، وجدائل شعرها الذهبى المتهدلة على بلوزتها الحريرية الحمراء التي تمسك بخناق فوهتى بركان صدرها الذى أوشك على إطلاق حممه ! أمرع شداد في أعقاب دكتور هورث قائلا :

- يشرفنى يا دكتور هورش أن أكون يدك اليمنى  
فى المهام التى ستقوم بها !

وقبل أن يفتح هورش فمه بالرد كان حجر قد قفز  
ليشكل حاجزا منيعا بينهما وهو يكاد يصيح :

- لا .. سارافق أنا دكتور هورش فى كل جولاته  
الميدانية !

أشاح هورش بيده مداعبا :

- لا أنت ولا هو .. سأتجول بمفردى حتى  
لا أقع تحت تأثير أى رأى مسبق !

تساءل حجر فى خيبة أمل :

- لكن من سيدلك إلى مواقع العمل والدراسة ؟  
أجابه هورش بصوت جهورى رصين :

- نحن لنا طرقنا فى تحديد خطوات العمل  
ومواقعه !

تذكر حجر فى لمح البصر انه يخاطب شمهورش  
شخصيا أما شداد فنظر إليه نظرات زاخرة بالحيرة  
والريبة وعدم إدراك معنى ما قيل !!

● ● ●

انطلق شهورش بسيارته نحو « بنك التنمية الإدارية » لصرف شيك صادر باسمه من « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » . كان سعيدا لصدقة أشاعت في داخله شعورا بالتفاؤل والارتياح ؛ ففى بحثه عن مكان يركن فيه سيارته في الشارع المكتظ بطوابير السيارات ، لمح سيارة تغادر مكانها من أمام باب البنك نفسه فاحتله في لمح البصر ، وهو يرد في عجلة على تحيات ثقيلة الظل من المنادى الذي ضرب له تعظيم سلام .

طوى درجات السلم الرخامية ليفاجأ بخمسة طوابير طويلة تحتل القاعة ذات الإضاءة المعتمة أمام خمسة شبابيك قبعت خلف قضبان حديدية لم يبد منها سوى أجزاء من وجوه المرافقين . كانت القاعة ساخنة بأبخرة الأنفاس ودخان السجائر برغم اعتدال الجو خارج البنك . احتار شهورش أى طابور يقف فيه ؟! فقرأ شاب الشيك وأشار إلى الطابور الأخير حيث شباك الصرف الأجنبي ، ف شكره ومضى ليقف في



ذيل الطابور الذى كان يتحرك كالسحفاة وإن بدا فى بعض الأحيان كأنه لا يتحرك على الإطلاق !

ضاق شهورش بنفسه . ماذا يفعل فى هذا الوقت المهدر ؟! لقد تعلم أن الصبر فضيلة إذا كان ضروريا للعمل الدؤوب والصلابة والإصرار على تحقيق هدف يبدو بعيد المنال ، لكنه لم يخلق أبدا مضجعة للوقت والجهد والطاقة ! لكن لا مفر من الانتظار وتأمل الوجوه الشاحبة ، والنظرات الشاردة ، والتعليقات الخائفة ، والطواير المتوترة ككتابين قطعت رءوسها . وفجأة خرج شهورش من تأملاته الشاردة على صوت مشادة أمام الشباك وكلمات متناثرة بين الموظف والعميل :

- آسف يا سيد .. لابد أن يكون الاسم ثلاثيا !

- أليس « أحمد مصطفى إبراهيم » اسمًا ثلاثيا ؟!

- لكن اسمك فى البطاقة العائلية « أحمد مصطفى محمد إبراهيم » !

- لو أرسلت الشيك مع أى أحد ، لمصرقه ببطاقته الشخصية !!

- ولماذا لم ترسل هذا الأحد ؟!

- اعتبرنى ضامنا ببطاقتى لصاحب الشيك !

- لكنك صاحب الشيك نفسه .. فكيف تضمن نفسك ؟!

- والعمل الآن ؟!

- العمل، أن يعود الشيك إلى مصدره لتصحيحه وتكرار التوقيعين إلى جوار التصحيح أو إصدار شيك جديد والغاء القديم !

- أليس هناك حل يوفر على كل هذه المتاعب ؟!  
أراح الله قلبك !

- لا تضيق وقتى أكثر من ذلك يا سيد .. خلفك طابور طويل !

وترك الرجل الطابور وهو يتمتم بكلمات مدغومة : « هذه فوضى .. هذا كلام فارغ .. لن نتقدم أبدا » . وعاد الطابور الثعبانى إلى التململ الملت حتى بلغ مشهورش الشباك فأخرج الشيك وجواز سفره ليمسك بهما الموظف ثم يضاهى الصورة

بالوجه ، ويكتب البيانات على ظهر الشيك ليوقع  
شمهورش تحتها ، ويحصل على النحاسه ، ويذهب  
إلى شباك الصرف حيث تكالب المنتظرون لورود  
الشيكات لصرفها . وجاءت الشيكات الواحد بعد  
الآخر إلا شيك شمهورش الذى قبح على طرف  
الكنبة الخشبية ، والدقائق تمر حتى أصبحت ساعتين  
حين جاء موظف ينادى على ثلاثة شيكات راجعة منها  
شيك شمهورش الذى قفز متسائلا عن السر في عدم  
صرف الشيك فكانت الإجابة :

- مادام الشيك صادرا عن مصلحة حكومية فيجب  
أن يكتب الاسم كاملا دون اختصارات . . . ولذلك  
لا يمكن قبول اسم : شين ميم هورش !

- هذا هو اسمى المعتمد فى جواز السفر الذى  
يعد مستندى الوحيد لصرف الشيك !

- هذا ليس شانى يا سيد ! عموما إذا وافق السيد  
مدير الفرع على صرفه فلن نتأخر !

- ولماذا لم تذهب إلى السيد مدير الفرع لطلب  
موافقته !؟

- اتظن اننى عيئت فى هذا البنك للجرى وراء  
شيك سيادتك ؟!

- وأين مكتب السيد مدير الفرع ؟!

- فى الدور الثالث فى المبنى المجاور !

استبدل الموظف النحاسة بالشيك فى يد شهورش  
الذى انطلق إلى المبنى المجاور ليطوى درجات السلم  
سائلا عن مكتب مدير الفرع الذى دخله محييا فرد  
التحية فى اقتضاب وطلب منه الجلوس لحين الانتهاء  
مما يشغله . قبع شهورش فى ركن ناء والسيد المدير  
يتابع حديثه مع السيدين الانيقين الجالسين أمامه  
يحتسيان القهوة :

- كانت ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة .. أى أن  
القاعة التى أقيم فيها الفرح كانت اسما على مسمى ..  
كان المدعوون لا يقلون عن ألف .. وتآلق بينهم  
نجوم الطبقة الراقية .. وقامت العروس بتغيير  
فستانها ثلاث مرات .. وقيل إن الفستان الواحد  
تكلف خمسين ألف جنيه .. والحفل كله تكلف حوالى  
ربع مليون جنيه .. كان البوفيه أسطوريا .. به  
كل ما تشتهى الانفس .. وكانت التورتة ثمانية

طوابق تكاد تكون أطول من العروس والعريس اللذين قاما بقطعها وسط طيات من الدخان الأبيض الذي جعلهما يبدوان سابحين بين غلالات السحاب قبل ذهابهما الى القساعة المجاورة لافتتاح البوفيه .. وبرغم الخواتم والأساور الماسية التي يربو ثمنها على مئات الألوف من الجنيهات .. وبرغم الفساتين الفاخرة والحلل الأنيقة المستوردة من عواصم الموضة في أوروبا .. والعطور التي تثير النشوة المسكرة .. فإنه عند افتتاح البوفيه هجم المدعوون على اللحوم والفطائر والحلوى والفاكهة هجوم التتار .. ومن لم ينتبه لملابسه كان نصيبه بقعة من الصلصة أو الزبد أو الجاتوه .. وبعد شحن الأطباق بأهرامات المأكولات والكؤوس بكل المشروبات عادوا ظافرين منتصرين لينهلوا بالشوك والسكاكين والملاعق على الأطباق في معركة حامية الوطيس لم يسمع خلالها سوى طحن الأسنان وتلميط الشفاه وتجرع العصير والمياه الغازية ! وعندما أوشكت المعركة على الانتهاء وانفثع غبارها ، بدأت معركة الموسيقى والغناء بموسيقى تصم الأذان وتدق الصدور بعنف ، ومع ذلك تبادل الحاضرون التعليقات على العروس والعريس والراقصة بأصوات صارخة حتى يسمعوها بعضهم بعضا . وكانت الراقصة ميمى منير التي تحصل في الليلة أو في الحفلة الواحدة على عشرة آلاف جنيه

قد أسالت لعاب الرجال وأخرجت عيونهم من مآقيها  
مما جعل الزوجات يعلنن حالة الطوارئ بالنظرات  
ثم التعليقات ثم الانذارات بالويل والثبور وعظائم  
الأمور !

صمت المدير ليستمتع بضحك السيدين الأنيقين  
على خفة دمه وليلتقط أنفاسه وليستريح للحظات بعد  
ليلة لم ينم فيها سوى ساعتين بين الفجر والصباح ..  
وسرعان ما استأنف دون أن يعير شهورش التفاتا :

- وكان حظى في هذه الليلة سيئا وحسنا في  
الوقت نفسه !

صمت لاثارة التشويق في المستمعين وفي شهورش  
أيضا . فقد وجد مادة خصبة لدراسته أروع ألف مرة  
من مشكلة الشيك . انتهى أحد الجالسين من رشف  
فنجانه باستمتاع شديد وقد تساءل ضاحكا :

- كيف ؟! هل أصاب حلتك نصيب من الزهد  
أو الجأته ؟!

- لا .. أنا حريص بطبعي بصفتي أحد رجال  
البنوك .. لكن حظى السيء كان لجلوسى أمام

كهل فقري حاقدا لم يمل ترديد بعض العبارات والجمل  
التي عفا عليها الزمان مثل : أليس من الأفضل صرف  
هذه المبالغ الطائلة في وجوه البر والإحسان ؟! هناك  
عائلات تبليت بأسرها على الطوى !! البذخ في غير  
محطه سفه !! هل يعقل أن يموت البعض من التخمّة  
ويموت البعض الآخر من الجوع ؟! وغير ذلك من  
الأفكار المسمومة الحاقدة .. فما كان منى عندما  
فاض بى الأمر سوى أن صحت فيه بأن عصر  
الاشتراكية والحقد قد ذهب إلى غير رجعة .. وأنه  
آن اوان الاستمتاع بثمرات الانفتاح الاقتصادى والسوق  
الحرّة .. وأن أحدا لم يجبره على حضور حفل  
رائع مثل هذا .. وكان فى إمكانه أن يرسل برقية  
تهنئة أو باقة ورد ، ويوفر على نفسه كل هذا الحنق  
والعناء ! وكانت كلماتى هذه فاتحة خير أظنها كانت  
مكتوبة لى !!

تحول شهورش إلى آذان صاغية فى حين تساءل  
الجالس على يسار المكتب :

- كيف ؟! يبدو انها كانت ليلة المفاجآت ؟!

- أولا .. لم يحتمل هذا الحاقدا البقاء فى الحفل  
اطول من ذلك فغادره غير مأسوف عليه !! وإذ بالرجل

الصامت الانيق الجالس على يميني .. يفتح لى  
قلبه .. وكان قلبا من ذهب .. تم التعارف بيننا  
فاذ به الدكتور أنور عبد الحفيظ رئيس مجلس إدارة  
« الهيئة العالمية لتوظيف العملات الصعبة » ..  
واعترضت عن جهلى به لأن الصورة التى اعتادت  
الصحف نشرها له ذات شارب فى حين أنه حليق  
الشارب .. فضحك قائلا بأنها صورة تنتمى لمرحلة  
الشباب .. لكننى استدركت بأنه لايزال فى عز  
الشباب وقمة الشهرة والمجد .. وجرى الحديث بيننا  
وكاننا أصدقاء منذ عشرين عاما على الأقل .. لدرجة  
أننى نسيت الفرح وما يدور فيه من رقصات وأغان  
ومنولوجات واستعراضات .. وخاصة عندما فاتحنى  
بنيته على الاستقالة وافتتاح بنك يشترك فى تمويله  
بعض الأمراء العرب مع بعض رجال الأعمال فى  
باليرمو بصقلية .. وعرض على أن أعمل مديرا للبنك  
بمرتب خيالى .. وبلا تفكير صارحته بأننى تحت  
أمره ورهن إشارته .. فمن السهل أن أستقيل  
وأسوى معاشى الذى لم يتبق عليه سوى خمس  
سنوات .. وبعدها انطلق الى عالم الخير والرفاهية  
الحقيقية ! وبالفعل تبادلنا أرقام التليفونات وساقوم  
بريافته الليلة فى منزله .. فمن حقى أن أتمتع  
بالاعوام القليلة المتبقية لى !



نهض الجالسان في لحظة واحدة واحدهما يقول  
وهو يمد يده بالسلاط :

- أطلال الله عمرك ومتعلك بالصحة والعافية !

وخرجوا لتخلو الغرفة ويكتشف المدير شهورش  
الذي نهض من ركنه مع تساؤلاته المستهجنة :

- نعم .. ماذا تريد يا سيد ؟!

مد شهورش يده بالشيك الذي التقطه المدير  
وقراه في ضيق وملل ثم قال وهو يضرب طرفه  
بأصابعه :

- أنت صاحب الشيك ؟!

قال شهورش في استسلام :

- نعم !

- هذا الشيك مر على من قبل .. ألم يقولوا  
لك إنه لابد من إعادته لمصدره لتصحيحه أو تغييره ؟!

- قالوا لي هذا ؟!

- هل أتيت إلى لتضييع وقتي ؟!

- الموظف المسئول هو الذى اقترح على هذا  
لعلى أحصل على موافقة سيادتك لصرفه !!

اجاب المدير وهو يمنع نفسه بشدة من التثاؤب  
ويحاول بقدر الإمكان الاحتفاظ بيقظته :

- إذا كان بعض موظفينا الجدد أغبياء فنحن  
نفترض فى عملائنا الذكاء !!

دخل شهورش مع المدير فى طريق مسدود  
فتناول منه الشيك ووضع فى حقيبته الصغيرة قائلا :

- شكرا .. إن وقتك أثمن فعلا من أن تضيعه  
مع غبى مثلى !!

وانطلق خارجا ليطوى درجات السلم حتى بلغ  
الباب العمومى حيث كانت سيارته قابعة فى انتظاره .  
فتح مؤخرتها وألقى بالحقيبة داخلها ثم استدار ليفتح  
الباب فإذا بشابين يتسكعان حولها وأحدهما يقول  
بصوت زاهر بالحب والتعاطف :

- سعادة البك .. العجلة الأمامية على اليمين

نائمة .. لا تزعج نفسك .. سنقوم نحن بتغييرها  
لسعادتك ويا دار ما دخلك شر !

استدار ليجد العجلة نائمة بالفعل • سعد بشهامة  
هذين المتطوعين لوجه الله • فتح لهما غطاء المؤخرة  
لإخراج الرافعة والعجلة الاحتياطية • انهمك أحدهما  
في استبدال العجلة وبسرعة التف حول السيارة عدد  
من المارة يتابعون ما يجرى في بلاهة وشروء وكأنهم  
في لهفة لآى شئ يتفرجون عليه • شعر شمهورش  
فجأة أن حقيقته قد أخذت من مؤخرة السيارة  
المفتوحة واستدار ببصره ليرى الشاب الآخر منطلقا  
بها وسط الشارع في اتجاه عكسى • ولأول مرة يفلت  
منه المجال الكهربى الداخلى دون إرادته منذ أن قرر  
كبتة داخله عند بلوغه الأرض • نظر الملتفون حول  
السيارة في اتجاه نظرات شمهورش المغناطيسية  
الحادة فوجدوا اللص عائدا بنفس سرعته ولكن  
بظهره وهو يصرخ في ألم كان هناك لطمات تنهال  
على وجهه ولكمات على صدره وظهره :

- هذه أول وآخر مرة .. تبت .. أنا سرت  
الحقيقية !!

واستمر بسرعته حتى التصق ظهره بمؤخرة

السيارة وهو يواصل صرخاته وتوجعته من الضربات الخفية المتهالة عليه :

- رصدنا انا وزميلي البك منذ دخوله البنك ..  
وقررنا نشله بمجرد خروجه !

ترك اللص العجلة مخلوعة وحاول اختراق الحشد المتزايد لكن المتفرجين فوجئوا به يصرخ في ألم شديد ويحاول تجنب لطمات وصفعات وضربات ولكمات بل وركلات خفية وإذ به يلتصق بمؤخرة السيارة إلى جوار زميله دون أن يستطيعا حراكا !

هبط الذهول على الحشد المتزايد الذي أوشك على سد الشارع ، ولم تتحول العيون عن رأس شمهورش الشامخ فوق قامته الفارعة ، ونظراته المغناطيسية التي كادت أن تشع بضوء فسفوري عجيب . وسرعان ما جاء أمين الشرطة الذي عرف من شمهورش تفاصيل ما جرى فطلب اصطحابهما معه الى قسم الشرطة لتحرير المحضر واجراء اللازم . وافق شمهورش فصاح أمين الشرطة باللصين كي يسرعا بإبدال العجلة النائمة ، فنفذا الأمر ورعشة الرعب تسرى في أطرافهما . كان شمهورش على وشك استخدام مجاله الكهربائي في نفخ العجلة وإصلاحها

فى لمح البصر ، لكنه تذكر نصيحته لباندورا ووافد  
فعقد عزمه على كبت المجال مرة أخرى داخله بعد  
أن أخذ حقيقته التى تسببت فى هذا الموقف المذهل  
سواء للذين تابعوه من المتفرجين أو لركاب  
الأتوبيسات والسيارات الذين أطلوا برؤوسهم من  
النوافذ مستفسرين عن السر فى هذا الحشد الهائل .

وسرعان ما انطلق شهورش بسيارته وإلى  
جواره أمين الشرطة فى حين قبع اللصان فى المقعد  
الخلفى ورعشة الأطراف لاتزال تهزهما من أعماقهما ،  
وأمين الشرطة يتنقل ببصره فى دھول بينهما وبين هذا  
البك الأستقرأى الذى أصابهما بشلل من مجرد  
نظرة !! هل هو ساحر خطير ؟! لم يملك أمين  
الشرطة نفسه من أن يتساءل فى حرج :

- هل لى أن أتشرف بسيادتكم ؟!

أجابه بابتسامة ساحرة :

- أنا ساحر .. جئت إلى مصر لأقدم عرضا  
كبيرا فى السيرك القومى .. وسوف يتم الإعلان عنه  
فى القريب العاجل !

كانت نظرات أمين الشرطة زاخرة بالذهول  
والإعجاب وهو عاجز عن إبعاد عينيه عن هذا

الساحر الجالس إلى جواره ، في حين واصل اللسان  
انتفاضهما الذي جعل أسنانهما تصطك حول  
لسانيهما .

وفي المساء كانت الشائعات تسرى في طرقات  
المدينة وميادينها وأزقتها حول الساحر الذي يسخر  
العفاريت في البطش بكل من يعترض طريقه ، لدرجة  
أن الأمهات ، وخاصة في الأحياء الشعبية ، أسرعن  
إلى تخويف صغارهن به حتى لا يخرجوا عن  
طوعهن ! وفي المقاهي والتوبيسات ومطرو الأنفاق ،  
قرب منتصف الليل ، سمع الناس شائعات تؤكد  
أن العفاريت تهاجم من يسير عند المقابر أو في  
الشوارع الخاوية المظلمة أو في الخرائب ! قابل  
البعض هذه الشائعات بضحكة ساخرة ، أو ابتسامة  
متهمكة ، في حين شرد البعض الآخر متمنيا أن يصل  
إلى بيته بأسرع ما يمكن !!

• • •

ظل جهاز مكافحة الجهل منهمكا برئاسة الأستاذ عبد العليم لمدة يومين كاملين في تجهيز الملفات والتقارير والدراسات التي سيضعها تحت تصرف دكتور وافد خبير الأمم المتحدة في شؤون محو الأمية ومكافحة الجهل ، لدرجة أن المسئولين لم يغادروا الجهاز ولم تعرف عيونهم النوم لمدة تزيد على خمسين ساعة . كانت تلال الملفات الضخمة المتورمة تحوى كل التفاصيل والاحصائيات والجداول والرسوم البيانية التي تحدد نشاط الجهاز في كل فروعه التي تنتشر بطول البلاد وعرضها من أسوان حتى الاسكندرية ومن الصحراء الشرقية حتى الصحراء الغربية ! فالجهاز منذ إنشائه لم يعرف سوى الانجازات الضخمة التي شهدت بها كل أجهزة الرقابة المعنية !!

في ذلك الصباح كانت الإدارة المركزية للجهاز قد تحولت إلى قطعة من النظافة والانتافة والنظام . الممرات مفروشة بالابسطة الحمراء التي لا تخرج إلا لكبار الضيوف ، واصطففت على جانبيها اصص

الزهور التى تتألق بألوانها أو تتنیه بعطورها • وتم  
طلاع الوجهة الخارجية وكذلك الأبواب والنوافذ •  
فقد كان أمل الأستاذ عبد العليم كبيراً فى الحصول  
من الأمم المتحدة على منحة سخية يستطيع بها أن  
يضاعف بها حوافز موظفيه الذين يحبونه لدرجة  
العبادة ، إذ أن الاستقرار الذى تمتعوا به فى عهده  
كان شيئاً نادراً فى الجهاز الذى شهد تقلبات كثيرة  
وإحباطات ضخمة فى عهود سابقة ! حتى عندما كان  
كبارهم يحالون إلى المعاش عند بلوغهم الستين ،  
كان يسرع بطلب مد الخدمة لهم للاستفادة بخبراتهم  
الثمينة فى ميادين مكافحة الجهل ، فيظل لسانهم  
يلهج بشكره ليل نهار ! ولم يكن شيئاً مستغرباً أن  
يحصل الأستاذ عبد العليم على جوائز وشهادات  
تقدير عديدة مثل شهادة الانجاز الوطنى ، وجائزة  
الكوكب الذهبى ، وميدالية الجدارة ، وكأس الريادة  
والصدارة وغيرها من الجوائز والميداليات التى يرصع  
بها مكتبه الفخم الأنيق •

جلس الأستاذ عبد العليم مع كبار موظفيه فى  
مكتبه فى انتظار وصول ممثل الأمم المتحدة • ارتدوا  
جميعاً أبهى ما عندهم من حلل وقمصان وأربطة عنق  
وأحذية جديدة لامعة تكاد تنزلق على البساط بمجرد  
تحركها عليه • وسرعان ما جاءت الأنباء بوصول



دكتور وافد . فهرع الأستاذ عبد العليم ونوابه  
العشرون لاستقباله ، في حين اصطف على جانبي الممر  
الرئيسي ووكلاؤه الأربعون ، ومساعدوه الثمانون ،  
ومندوبيه المائة والستون ، وخبرائهم المائتان  
والثلاثون ، ثم جيش لا يحصى من الكتبة والمسجلين  
وموظفي السكرتارية والأرشيف وشئون العاملين  
وسائقى السيارات والسعاة والفراشين الذين تناثروا  
حول المكاتب والقاعات ودورات المياه لعلهم يحظون  
بنظرة على الرجل الذى جاء إليهم ومعه الخير كله !

هبط دكتور وافد من السيارة السوداء ليستقبله  
الأستاذ عبد العليم ونوابه العشرون بأحضان ساخنة  
حارة لا يمكن أن تحدث إلا بين اقارب أو أصدقاء  
عمر لم يروا بعضهم بعضا منذ زمن طويل . لم يستطع  
وافد سوى أن يستسلم تماما للقبيلات والأحضان  
كفريق وجد نفسه بين أمواج طوفان لا يهدأ ، ثم  
شرع فى السلام باليد على الطابورين المصطفين على  
جانبي الممر الطويل الذى لا تبدو له نهاية ،  
والأستاذ عبد العليم يقدمهم له ، كل واحد باسمه  
كاملا بل وثلاثيا فى بعض الأحيان وكله زهو وفخر  
بذاكرته الحديدية التى تضارع أى كومبيوتر فى تخزين  
المعلومات !

وبعد انتهاء إجراءات الاستقبال اصطحب الأستاذ  
عبد العليم ضيفه الكبير مقاما والصغير سنا إلى  
قاعة الاجتماعات الكبرى في الجهاز ليجلسه على  
يمين المائدة التي سرعان ما اصطف حولها النواب  
العشرون في حين تربع الأستاذ عبد العليم على مقعد  
الصدارة . ثم دخل السعاة الذين يرتدون الزي  
الملوكي الأخضر الداكن المطرز بالقصب ليوزعوا  
أكواب المشروبات المنعشة ، سواء الساخنة أو الباردة ،  
وأطباق الكيك والبيتى فور التي رصت حول تلال  
الملفات التي احتلت قلب المائدة البني اللامع تحت  
لوح زجاجي ضخمة . انهمال الحاضرون على المشروبات  
والماكولات في حين ظل وافد يتابعهم في ذهول دون  
أن يمد يده للكب أو الطبق أمامه . داعبه عبد العليم  
وهو يقرب الطبق منه :

- لا يصح أن نأكل ونشرب جميعا ويظل الضيف  
يتفرج علينا !

ابتسم وافد قائلا في حسم :

- لى رجيم خاص لا أستطيع أن أحيد عنه ..  
شكرا ..

وقبل أن يرد عبد العليم أضاف وافد :

- أريد أن ألم بالمشكلات البيروقراطية التي تعوق عمليات محو الأمية حتى نبحث مع الوسائل المثلى لتذليلها !

انبرى الأستاذ عبد العليم للرد بحماس متدفق :

- أولا .. اسمح لى أن أختلف مع سعادتك فى استخدام المصطلح .. فنحن جهاز « مكافحة الجهل » وليس « محو الأمية » !

- وما الفرق ؟

- كانت فلسفة الثورة التى أحدثناها فى هذا الجهاز نابعة من تغيير المصطلح .. فإنه من الممكن أن نمحو الأمية تماما ومع ذلك يظل الجهل متفشيا .. فالجهل بالشئ لا يعنى بالضرورة أن يكون الإنسان أميا لكنه عليم بأشياء كثيرة .. ولذلك فنحن لا نمحو الأمية ولكننا نكافح الجهل فى كل مواقعه .. ونتربص به فى كل أوكاره .. ونبذل المستحيل فى قطع ذيوله متى وجدناها !!

كان النواب العشرون على وشك التصفيق لكن كلمات وافد أعادت أكفهم إلى مواقعها على حافة المائدة أو مساند المقاعد :

- عموما الاسم لا يهم كثيرا .. لكن هل يمكننى  
أن أفهم من هذا الكلام أنكم قد تسعدون بالأمية إذا  
لم تؤد إلى الجهل !؟

- لقد علمنا من سيادة الدكتور حجر أن سعادتك  
من أصل عربى بدليل اسمكم .. وأنكم عملتم خبراء  
للتنمية التعليمية والثقافية في دول عربية .. ولذلك  
اعتقد أن التفاهم مع سعادتك سيكون سهلا ومثمرا  
للفاية .. وخاصة بعد أن اطلعكم على البيانات  
والإحصائيات والجداول والدراسات والتحليلات  
التي تحتوى عليها هذه الملفات حتى تكون لدى  
سعادتك صورة واضحة .. أمينة .. صادقة من  
أرض الواقع .. وبالتالي يكون لنا الحق كل الحق  
في المطالب التي سنتقدم بها لسعادتك !

نظر وافد برعب وقلق إلى تلال الملفات أمامه  
ثم قال :

- أنا أصدق كل ما تقوله دون ما حاجة إلى هذه  
الملفات .. وخاصة فيما يتصل بما نشرته الصحف  
الرسمية بصفة عامة والصحف الحزبية بصفة خاصة  
حول فشل الجهاز في محو الأمية التي تتزايد  
نسبتها مع الأيام نظرا لهروب الأطفال من التعليم

الابتدائي للعمل في الحقول والمصانع والورش لإعالة  
ذويهم بالأجر اليومي الذي يحصلون عليه !

انطلق عبد العليم بنبرات عصبية لأول مرة :

- كلها محض افتراءات وأكاذيب .. تلك هي  
الضريبة التي يدفعها كل ناجح في مواجهة طوابير  
الحاقدين والفاشلين الذين لا يحتملون رؤيته وهو  
يتنقل من إنجاز لآخر !!

استمر وافد بنفس النبرات كأن عبد العليم لم يقل  
شيئا :

- كذلك قالت هذه الصحف إن الاسم الجديد  
« جهاز مكافحة الجهل » هو مجرد تغطية لفشل  
الجهاز في محو الأمية .. فانت تستطيع أن تمحو  
أمية الجاهل .. لكنك لا تضمن كيفية استيعاب الجاهل  
للمعلومات التي ترد إليه عبر وسائل أخرى غير  
القراءة .. كالراديو والتلفزيون والسينما مثلا ..  
فالقراءة والكتابة يمنهجان التفكير وليس مجرد  
وسيلتين لتخزين المعلومات .. أي أن القارئ يفكر  
بنفسه لنفسه في حين يترك المستمع أو المتفرج عملية

التفكير لغيره .. ويكتفى باستقبال عمليات التلقين  
التي تصيب عقله بالصدأ في النهاية !

لأول مرة يجد الأستاذ عبد العليم نفسه في  
مواجهة تحد لا قبل له به ! شدت إليه عيون  
الجالسين حول المائدة وقلوب بعضهم تتمنى أن  
تفتديه برقابهم ، لكن احدا منهم لم يفتح الله عليه  
برد مناسب مقنع ، ولذلك تركوا المهمة برمتها  
لرئيسهم سيدهم وتاج رأسهم الذي قال بعد تردد  
ثم تلعثم اصاب كلماته الاولى :

- لست مسئولاً عما تنشره الصحف .. لكننى  
مسئول فقط عن هذا الجهاز وإنجازاته ومشكلاته !!

- وما هى مشكلاته ؟!

- سأحكي لسعادتك أولاً عن إنجازاته ثم عن  
مشكلاته .. لقد استطعنا أن نهبط بنسبة الجهل على  
مدى الخمس سنوات الماضية من ١٦٤٧٣٪ إلى  
١٢٦٨١٪ .. وبالطبع الأمية ضمن هذه النسبة التي  
نفخر بها دائماً .. فالجهل والأمية وجهان لعملة  
واحدة .. بل إن الجهل قضية أشمل بكثير من  
الأمية .. ونحن دائماً نهدف إلى معالجة الكل قبل

الجزء ٠٠ ذلك أن نجاحنا في إصلاح الكل يعنى بالتالى وبالضرورة وبالحتمية إصلاح الجزء ٠٠ فنحن نملك إستراتيجية شاملة وبعيدة المدى ٠٠ ولا نقتصر على النظر إلى مواقع أقدامنا كما تحاول الصحافة المغرضة أن تصورنا وتعوق انطلاقنا !!

صمت عبد العليم ليزدرد رشفة ماء من الكوب أمامه فأضاف وأقعد بنفس النبرات المتسائلة في هددوء :

- وما هى مشكلات الجهاز ؟!

اغتاظ عبد العليم كأنه لم يقل شيئاً عن الإنجازات التى يفخر بها لكنه تماسك وواصل حديثه الهادئ :

- مشكلتنا فى نقص أوجه الدعم المالى والمنح الدراسية للخارج !!

ابتسم واقعد فى سخرية كالسهم المسموم فى قلب عبد العليم :

- الأمم المتحدة نفسها فى حاجة إلى دعم مالى ٠٠

ولولا استضافة الولايات المتحدة لها في نيويورك لكانت  
قد اغلقت أبوابها منذ زمن ٠٠ وبالطبع هناك فرق  
بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة !

نظر عبد العليم إلى عيون نوابه فقتله الإشفاق  
المنساب منها ٠ أدرك أنه يحارب معركة المصير  
أمامهم ، ولو اهتزت صورته في عيونهم لانهار على  
أم رأسه كل البناء الشاهق الذى أقامه بفكره وعرقه ٠  
معركة لم يتوقعها أبداً لكن عليه أن يحاربها حتى  
النهاية فإما النصر أو الشهادة ، وفى كلتا الحالتين  
سيرد ذكره على الألسنة بكل حب وتبجيل ! حاول  
تفادى نظرات وافد المغناطيسية وهو يقول :

- نحن نعرف الفرق بالطبع بين الأمم المتحدة  
والولايات المتحدة ٠٠ فلما أميين أو جهلاء إلى هذا  
الحد !! لكن مادام ليس فى مقدورك أن تقدم أى  
دعم مالى أو منح دراسية ٠٠ فأتنا اتساءل أمام الإخوة  
العلماء والخبراء الحاضرين الآن عن السر فى قدومك  
إلينا من أقصى أطراف الأرض !؟

ظن عبد العليم أنه أصابه فى مقتل لكن اللعين  
لم يهتز وواصل ابتسامته المغناطيسية الكريهة :



- جئت لمساعدتكم فى حل مشكلتكم الإدارية بناء  
على طلب « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » ورئيسه  
الدكتور حجر !!

واصل عبد العليم زحفه الذى حاول أن يحيله  
إلى اجتياح :

- يقول المثل المصرى : جحا اولى بلحم ثوره !  
ولن يستطيع الأجنبى القادم من أقاصى الأرض أن  
يفهم مشكلتنا ويستوعب أبعادها ويدرك أعماقها  
مثلنا !

- وأنا بدورى أتساءل برغم اقتناعى بصحة هذا  
الكلام : مادمتم بهذه الدراية والعلم والاستيعاب  
فلماذا قمتم باستدعائنا ولماذا تركتم المشكلات تتفاقم  
إلى هذا الحد حتى أصبحت مزمنة ؟!

- هذه أوهام يروجها الأعداء حتى صدقتموها  
واعتبرتوها الحقائق الوحيدة التى تؤكدونها كلما  
جاء ذكرنا على لسانكم !

- وأنتم تنوهمون أو تدعون دائما وجود مؤامرة  
خارجية عليكم .. وكان العالم قد فرغ من كل مشاغله

ولم يعد له هدف إستراتيجى سوى التآمر عليكم ..  
ولذلك أتساءل : هل هى مؤامرة عالمية ضدكم كى  
يستمر تفشى الامية بهذا الشكل المزمع والمتزايد ؟!

صرخ عبد العليم بنبرات اصطديت بجدران  
القاعة :

ـ والآن .. انا متأكد تماما أن قدومك ليس سوى  
حلقة من حلقات التآمر علينا !!

تكهرب الجو ووافد يعتذر فى سره لشهورش الذى  
اضطر هو نفسه فى الأسبوع الماضى إلى اللجوء إلى  
القدرات الخارقة مع اللصين . سلط وافد نظراته  
المغناطيسية على عيني عبد العليم قائلا :

ـ كما أنك متأكد تماما من أن كل ما تنطق به هو  
مجرد اوهام واكاذيب كى تستمر فى التمتع بمنصبك  
وامتيازاته !

كان عبد العليم يقاوم قدر إمكانه الموجات  
المغناطيسية الصادرة عن عيني وافد السوداوين  
الواسعتين :

- وأنا أرفض هذه الإهانة في مكتبي .. وأنهى  
هذا الاجتماع العقيم السخيف فوراً !

قالها عبد العليم ونهض منتفضاً في مكانه ، فنهض  
الجالسون في نفس اللحظة وكانهم متصلون به بأسلاك  
خفية ! نهض وأفد بدوره وقد ترك مجاله الكهربى  
يخرج منه ويختوى عبد العليم تماماً :

- ولكنك قبل نهاية الاجتماع .. ستكتشف أن في  
امكانى أن أجبرك على الاعتراف أمام زملائك بكل  
الحقائق العارية التى تحاول أنت وزملاؤك تغطيتها  
بقدر الإمكان !

جثم صمت ثقيل لم تقطعه سوى الأنفاس اللاهثة  
والأيدي التى ارتفعت إلى بعض الجباه لتمسح حبات  
العرق برغم لطف الجو . حاول عبد العليم أن يتخلص  
من الدوامة الخفية التى تحيط به وتدفعه قسراً إلى  
فتح قلبه واللقاء كل الأسرار والخطط التى ينوء بها !  
تشبثت العيون المتوسلة إليه لكنه سرعان ما وقع في  
قاع الدوامة المغناطيسية صارخاً :

- نعم .. أنا الأستاذ عبد العليم رئيس « جهاز  
مكافحة الجهل » أقر وأعترف أمامكم بأشياء ومواقف

تعرفون معظم خباياها .. فالجهل هو بضاعتنا التى نعيش عليها .. فإذا قضينا عليه فإلى أين نذهب ونحن الذين قضينا عمرنا كله فى مكافحته ؟ كم نادى الكتاب والمفكرون بالاستفادة بالطاقات المعطلة لخريجي الجامعات أو للطلبة فى أجازاتهم السنوية فى تشغيل فصول محو الأمية سواء للصغار أو الكبار ؟

واسرعنا بدورنا لوضع ألف عقبة فى طريقهم ونجحنا فى إحباط محاولاتهم ثم كتم أصواتهم تماما ! قالوا لنا إن فيتنام استطاعت فى أثناء حربها المهولة مع أمريكا أن تمحو الأمية تماما فى مدى أربع سنوات فقط ! قلنا لهم متسائلين فى سخرية : وهل لم يتبق أماننا سوى هذا النموذج الشيوعى الملحد كى نسير على نهجه ؟! هذا مع علمنا بأننا ممكن أن نطبق الخطة الفيتنامية دون أن تمسنا الشيوعية من قريب أو بعيد !

صمت عبد العليم لمبتلع لعابه ويلتقط أنفاسه المبهورة ، فما كان من نائبة الواقف إلى يساره سوى أن قال :

– أستاذ عبد العليم .. إن ما تقوله لهو ... ولكن نظرات وافد الحمى لسانه ، وإذ به يشزع

في نتف شعيرات نحيلة بصلعته اللامعة ويضيف  
مكملا :

- إن ما تقوله لهو الحقائق التي ندركها جميعا !

استأنف عبد العليم حديثه كأنسان الى يفرغ  
ما بداخله :

- كان من الممكن أن نسخر كل أجهزة الإعلام  
في خدمة برامجنا .. وإن نقيم المسابقات ونمنح  
الجوائز والكؤوس والميداليات للقرى أو الأحياء التي  
تنجح في محو أمية أفرادها .. وأن يكون هناك دورى  
لمحو الأمية مثل دورى كرة القدم !! وفي النهاية  
نقيم احتفالا بوفاة آخر أمى كما فعلت اليابان منذ  
أربعين عاما !! لكننا اكتشفنا خلال ممارستنا الطويلة  
أن الأمية ليست كلها شرا ! فهي أرض خصبة لنمو  
البراءة والطيبة والسذاجة وراحة البال والنعيم  
الحقيقى برغم مظاهر الشقاء المحيطة والمتريصة  
بالبائس ، في حين أن التعليم مصدر للشقاء والمعاناة  
والدهاء والخبث واللؤم واللف والدوران ، أى أنه  
جحيم مقيم لكل من يتوغل بين السنته النارية !!  
ورحم الله شاعرنا الكبير أبا الطيب المتنبى حين قال :

ذو العقل يثقى فى النعيم بعقله

وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

فهل أجرمنا عندما كافحنا من أجل أن يتجنب  
مواطنونا شقاء العقل وجحيمه ؟! وكانت بصيرة  
شعبنا ثاقبة كعادته منذ إنشاء جهاز محو الأمية القديم  
بحيث أطلق عليه « جهاز نحو الأمية » ! فمرحبا  
بالأمية إذا كان النعيم والسعادة والنشوة فيها .  
فالإنسان لا يعيش حياته مرتين وحرام أن يبدها فى  
جحيم لا طائل من ورائه !!

صمت عبد العليم فإذا بوافد يصفق بحرارة  
والواقفون يتبعونه بنفس الحرارة دون إدراك حقيقى  
للسبب فى التعرية الفاضحة للحقائق الخفية سوى ذلك  
التأثير الخفى المشع من ذلك الشاب الغامض المحير !  
شد وافد على يد عبد العليم فى حماس دافق ثم  
استأذن ليخرج من باب القاعة فإذا ببعض الصحفيين  
الشبان كان فى انتظاره بكاميراتهم وأسئلتهم ، فلم  
يفتح فمه إلا بكلمات مقتضبة :

- هذا هو كل ما عندى !

وأخرج من جيبه جهاز تسجيل صغيرا أخرج منه  
شريطا منحه لأول يد امتدت إليه لتلتقطه • ثم شق  
طريقه وسط الصحفيين والمسؤولين الذين تناثروا في  
الممر الطويل الذى فاح بأريج الأزهار والورود المتألقة  
بالوانها الحمراء والصفراء والبيضاء من داخل الأصص  
التي طليت بماء الذهب •

• • •

كانت شرفة الفندق الفاخر تطل من عليائها على  
 نيل القاهرة الساحر الملتوى في إيقاع ناعم ، هادىء ،  
 جليل تحت الكبارى التى تنطلق عليها السيارات كغلب  
 الكبريت الملونة وكأنه مشهد صامت ارتدت عنده كل  
 ضوضاء العاصمة وزحامها المرعب . لم يشبع  
 مشهورش من تأمل هذا المشهد الذى أمده براحة نفسية  
 عجيبة ، كلما عاد من موقف من المواقف التى أجهد  
 نفسه فيها بكبت المجال الكهربى داخله حتى لا يكرر  
 ما فعله يوم لص الحقيبة ، وما ترتب عليه من  
 شائعات عن عفاريت تغزو القاهرة ليلا ، وتهاجم  
 السائرين بمفردهم خاصة فى الأطراف النائية والخرائب  
 والمقابر والأماكن المهجورة ! وكانت هذه الشائعات  
 على وشك أن تخدم وتموت لولا ما فعله وافد وباندورا  
 فى الاسبوع الأخير ، إذ أن العيون قد تابعتهم كسحرة  
 ياتون بأفعال خارقة يصعب تفسيرها بالمنطق الإنسانى  
 المعروف ! لكن ما العمل ومعظم المشكلات التى  
 واجهوها كان مزمتا ومعقدا وخبيثا بحيث لم يترك  
 لهم مفر من اللجوء إلى طاقاتهم الخفية !؟



كان وافد يجلس فى الشرفة ما بين شمهورش  
وباندورا حين ألقى بالصحيفة التى كانت بين يديه  
جانبا وهو يقول فى يأس وإحباط :

- لم أكن أتصور أبدا ان الموضوع سيصل إلى  
العناوين الرئيسية فى صفح المعارضة التى يبدو انها  
تبحث عن جنازة كى تشيع فيها لظما !! لقد جئنا  
للمساعدة المخلصة وليس للتشهير .. لكن يبدو أن  
ما باليد حيلة !

أجاب شمهورش وهو ينظر إلى باندورا التى  
فاض الأسى من عينيها البنفسجيتين الواسعتين :

- لم أكن أظن أن هناك مشكلات يستعصى حلها  
علينا !! نحن فى مملكتنا لا نلجأ إلى هذه القوى  
الخفية لأننا كلنا نملكها ونوظفها لخير المملكة وتقدمها  
ورفاهيتها .. أما هنا على هذه الأرض .. فإننى  
أتساءل : ماذا يمكن أن يحدث لو أن البشر امتلكوا  
هذه القوى الخفية واكتشفوا أسرارها ؟! فى اعتقادى  
أن الحياة البشرية كان يمكن أن تنتهى على هذا  
الكوكب تحت وطأة الصراع المميت بين القوى الخفية  
والقوى المضادة لها !

أشاحت باندورا بوجهها بعيدا وهي ترصد صفحة  
النيل الذهبية التي عكست ضوء الشمس الساطعة :

- بعد ما جرى لى ٠٠ لن أستطيع أن أقوم بأية  
مهمة !! إننى أشعر فى قرارة نفسى بأننى قاتلة !!  
لم أتصور أبدا أن مأساة مثل هذه يمكن أن تترتب  
على تصرفاتى وأنا التى اتيت من أجل المساعدة  
والتعاون وليس الانتحار والقتل !!

ربت وافد على كتفها فى أخوة جانية ، فى محاولة  
لداعتها :

- يبدو أن اشتياقك الحارق لرافد هو الذى  
أصابك بهذا الاكتئاب والحزن والقلق ٠٠ عموما قلبى  
يحدثنى أن عودتنا إلى مملكتنا أصبحت وشيكة ٠٠  
إذ أنه من المستحيل أن نساعد أناسا يصرون على عدم  
مساعدة أنفسهم برغم أن كل كلماتهم وأمثالهم الشعبية  
وشعاراتهم تؤكد غير ذلك !!

- لم أكن أتمنى أن أعود إلى مملكتنا وأنا  
أحمل مثل هذه الذكرى الكئيبة !

ربت شهورش على يدها فوق مسند المقعد قائلا  
فى أبوة حانية :

- لم استمع إلى ما حدث لك بالتفصيل .. ربما خلصك التحليل المفصل والدقيق من كل هذا الإحساس الجارف بالذنب ! وخاصة أن هدفك كان تقديم يد المساعدة والخير .. وكان من حقك أيضا أن تدافع عن نفسك .. فهذا أبسط الحقوق المكفولة لك !

ابتسمت باندورا فبدت عيناها البنفسجيتان كشمسين أشرقتا بين السحاب بعد غيوم مشبعة بالأمطار الثقيلة . قالت :

- كان لابد أن أقوم بالمهمة التي كلفتني بها على خير وجه .. قمت بالدراسات اللازمة وتحليل الحملة الإعلامية التي تسعى إلى تجنب الانفجار السكاني !! واكتشفت على سبيل المثال أن هذه الحملة تحت النساء على راحة لمدة عامين بين إنجاب كل طفل والطفل الذي يليه .. فإذا عرفنا أن فترة الخصوبة عند المرأة تصل إلى ثلاثين عاما فإن معنى هذا أن في إمكان المرأة أن تنجب أحد عشر طفلا في ظل برامج التوعية لتنظيم الأسرة ومنع الانفجار السكاني !! كذلك اكتشفت أن القائمين على هذه البرامج كلهم من الرجال في حين أن المرأة هي المخلوق الذي ينكوي بنار الحمل والولادة وتربية الأطفال والعمل أيضا لمساعدة الزوج في حمل أعباء

المعيشة ، في حين أن الرجل يكتفى غالبا بالقيام بدور الذكر والعائل الاساسى للأسرة ، وكأنه ليس السبب في كل ما يقع للمرأة من متاعب ومحن ومأس !!

علق شهورش بابتسامة حانية :

- أعرف كل هذا .. لكننى أريد أن أإلم بالتفصيل بكل ما جرى بينك وبين رئيس جهاز « منع الانفجار السكانى » ؟! أى الأحداث وليست الدراسات !!

- ترددت عليه ثلاث مرات .. فى المرة الأولى كنت أرتدى فستانا قصيرا .. كانت الحرارة شديدة فى ذلك الصباح .. وعلمت أن الموضة السائدة هى الفستان القصير .. كان فستانا أحمر انعكست حمرة على بياض بشرتى وتناغمت مع بنفسجية عينى .. ضمت شعرى الذهبى فى جديلة كذيل الحصان العربى .. وارتديت حذاء بنفسجيا من الجلد اللامع .. كنت أظن أن هذه هى أنسب الملابس للعمل فى يوم قائف .. وكنت أظن أننى سأذهب للقضاء عقول مفتوحة للاستيعاب والدراسة والتحليل ثم الحل .. فلم أجد سوى عيون مفتوحة ، جاحظة تكاد تخرج من مآقيها كى تتأمل كل تفاصيل جسمى الظاهر ، وتود أن

تتمثل تحت الفستان لتصل إلى كل ما يمكن أن تصل  
إليه !!

ضحك شهورش محاولا إشاعة المرح في الجلسة :

- فعلا .. لاحظت أخيرا أن هذا هو الشغل  
الشاغل لمعظم الرجال .. بصرف النظر عن مناسبة  
المكان أو الزمان لذلك .. شهيتهم مفتوحة دائما  
للجنس اللطيف دون أمل في أى شبع !!

- كانت هذه الشهية المفتوحة دائما هي السبب  
في كل المصائب التي جرت بعد ذلك .. فعلى الرغم  
من أن رئيس « جهاز منع الانفجار السكاني » كان  
يقترب من الستين .. وكان متزوجا من أربع  
زوجات .. وأباً لأحد عشر ولدا وبنات .. لم يهدأ  
له بال بمجرد دخوله مكتبه .. ولذلك سرعان  
ما تلاشت دهشتي التي دخلت بها مع مدير مكتبه  
من الباب الخارجى عندما سمعت صفارات الموظفين  
الصادرة من المكاتب المصطفة على جانبي الممر ..  
فبين هؤلاء الموظفين لابد أن يكون هناك من يناهز سن  
الشباب .. أو ربما يحاول طرد الملل الذي يعيش  
بينهم .. لكن ما حجة الدكتور الخلفاوى رئيس  
الجهاز في أن يفعل ما فعله !؟

داعبها وافد بابتسامة عذبة :

- لكنك حتى الآن لم تقصى علينا بالتفصيل  
ما فعله معك الدكتور الخلفاوى !!

- دخلت المكتب فإذا به وكأنه لا يصدق عينيه !  
تخلى عن وقاره تماما وقفز من وراء مكتبه ليمسك  
يدى ويقبلها صائجا مهللا :

- يا صباح الفل .. يا صباح الياسمين والقشدة  
والعسل النحل .. كنت أظنك عجوزا شمطاء من  
الذين يأتون إلينا فى الأفواج السياحية ونراهم فى  
المتاحف والأماكن الأثرية .. كلهم رجال ونساء فوق  
السبعين .. أما أنت فجنينة ساحرة !

سألها شمهورش وهو يتعطى فى مقعده :

- وماذا كان شعورك عندما قال إنك جنينة  
ساحرة ؟!

- جلست أمامه بعد أن خلصت يدى من يده  
بصعوبة وسألته بمنتهى الجدية التى تبلغ حد التجهم  
والصرامة .

- من فضلك .. أريد أن أطلع على الأنشطة  
والمجالات التي يعمل فيها « جهاز منع الانفجار  
السكاني » !

فتح مكتبه وأخرج عينات من نتائج الحائط  
والأجندات والملصقات الجدرانية وشرائط الكاسيت  
والفيديو التي تحذر الناس من مخاطر الانفجار  
السكاني الذي سيأتي على الأخضر واليابس !!  
تصفحتها بسرعة وسألته :

- هل يقتصر نشاط الجهاز على مجرد الدعاية  
لشعاراته ؟!

. انفجر ضاحكا بدون داع :

- ذات مرة طبعنا ملصقا به صورة أب وأم  
وأمامهما ولد وبنت .. وكتب أسفلها : أسرة صغيرة  
هي أسرة سعيدة ! وبعد الانتهاء من لصقه في مدخل  
إحدى القرى وجد مندوبنا فلاحه جبلى وتحمل  
طفلا على كتفها وتمسك بآخر بيسراها وهي تتأمل  
الملصق بانفعال شديد . فظن مندوبنا أن الملصق قد  
سرى مفعوله فيها ، فسألها :

- ما رأيك ؟! كم هي صورة جميلة !!

نظرت إليه في أسي وهي تحدث صوتا بشفتيها  
كمص الليمون :

- غلابة .. ربنا يعطيهم يا بيه !

ثم انفجر رئيس الجهاز ضاحكا مرة أخرى وكأنه  
يسجل لجهازه انتصارا كبيرا ، فلم أملك سوى أن  
أقول له :

- هذا فشل ذريع يثير الأسى والضيق !

واصل ضحكه كأنني لم أقل شيئا :

- نحن نؤدي الواجب الذي علينا وفي حدود  
إمكاناتنا والباقي على الله ! هل تريدون منا أن نموت  
كمداً إذا فشلنا في تحقيق أهدافنا ؟! الحياة ليست  
رخصة إلى هذا الحد ! الحياة فرصة لا ينتهزها  
الإنسان سوى مرة واحدة .. إذا ضاعت منه ضاعت  
إلى الأبد !

انتقل في خفة وحيوية شباب الثلاثين ليجلس  
إمامي وهو يتفحص جسمي من أم رأسي حتى  
أخمص قدمي ، لدرجة أنه أجبرني على جذب ذيل



الفيستان فوق ركبتي بقدر الإمكان ، وأنا أقول له  
بمنتهى الجدية والصرامة والتجهم :

- جئت لأناقش معك مشكلات الانفجار السكاني  
ووسائل حلها .. وليس لمناقشة فلسفتك في الحياة !

تراجع قليلا في زحفه لكن نظراته ظلت تتمسح  
بى :

- نحن نؤمن بالحافز الفردى في نشر الوعي  
الأسرى بمشكلة الانفجار السكاني .. ولذلك نخصص  
مكافآت سخية ومنتظمة بل شهرية لكل الذين يساندون  
مهمتنا القومية .. وفي مقدمتهم العاملون في مجال  
الإعلام !!

- أليست هناك إستراتيجية شاملة توضع في  
اعتباراتنا أبعاد الانفجار السكاني واحتمالاته  
المستقبلية وخاصة فيما يتصل بعلاقات التنمية  
الاقتصادية والاجتماعية ؟!

- نحن لا نؤمن بالكلمات الرنانة والشعارات  
الطنانة .. بل نستخدم أبسط المفاهيم كي نصل إلى  
أبسط الناس .. مثل شعار : أسرة صغيرة أسرة

سعيدة !! ومع ذلك فقد تفرعت مهامنا وتعددت مما اضطررنا إلى انشاء أقسام وفروع أخرى .. مثل فرع التنمية السكانية .. وقسم التوعية الريفية .. وقسم التعاون الأسرى .. وفرع الدراسات البيئية .. وفرع التحليلات الاجتماعية .. وقسم تخزين المعلومات والإحصائيات والاستبيانات والاستفتاءات .. إلخ .. إلخ !

- هل يمكن أن أعرف المهام التي يقوم بها كل قسم أو فرع على حدة ؟! ومدى التعاون والتفاعل بين هذه الأقسام والفروع ؟! والإنجازات التي حققتها على المستوى الميداني .. والعقبات التي حالت دون تحقيق بعض هذه الإنجازات ؟!  
عاود ضحكته البلهاء بدوى أعلى :

- حيلك .. حيلك .. هل تعتقد أننا سنأتى بالمعجزات ؟! كما أننى مؤمن باللامركزية .. فقد عينا فى هذه الأقسام والفروع أهل الثقة .. ولذلك فأنا أترك لكل مسئول منهم حرية التصرف فى إطار ظروف موقعه !!

- أليست لك سلطة عليهم ؟!

- طبعاً .. ومن حين لآخر أطلب منهم تقارير  
عن موضوعات معينة !

كنت أتمنى أن تستعين بأهل الخبرة والكفاءة  
وليس بأهل الثقة والحظوة !؟

- أنا لا أفرق بين أهل الثقة لأنهم في نظري  
أهل خبرة !!

- وهل أستطيع أن أحصل على تقارير الفروع  
والأقسام !؟

- طبعاً .. طبعاً .. سأطلبها تبعاً .. وسأقدمها  
لسعادتك في المرات القادمة .. فسألتقى كثيراً !!

- لى مهمة محددة أريد أن أنجزها في أسرع  
وقت ممكن !

- وأنا تحت أمرك .. لكن في مقابل كل هذه  
الأسئلة التى أجبتك عليها .. أرغب فى توجيه سؤال  
واحد فقط إليك !

- تفضل :

- ألم يسبق لك أن رشحت نفسك في مسابقة ملكة جمال العالم؟! إن كل اللاتي فزن باللقب من قبل مجرد خادمت ووصيفات لك!

- نحن لا نخلط في حديثنا بين الأمور الخاصة والأمور العامة .. وليس لى حديث معك إلا في مشكلة الانفجار السكانى!

- أنت قنبلة أخطر من أى انفجار سكانى!! هل يمكن تجنب الانفجار بقنبلة شديدة الانفجار مثلك؟!

نهضت فى حسم طالبة منه أن يجهز لى التقارير للمرة القادمة فأمسك بيدي بالبحاح غريب وانهمال عليها تقبيلًا فسحبته بشدة!! وفى المرة التالية فوجئت به يقول لى إن التقارير لم تجهز بعد!! وأنه قرر تطليق زوجته الأولى حتى يستطيع أن يجعل منى زوجته الرابعة!! فهو لم يغمض له جفن منذ أن رآنى أول مرة!! وكنت فى المرة الثانية قد ارتديت بنطلونا وبلوزة بكمين طويلين حتى أتخاشى نظراته المتمسحة المتلصصة .. ذهلت لحديثه اللاهث بلا مقدمات .. ظننت أول الأمر أنه يهزل لكنه عندما واصل إصراره هددته بترك المكتب فجلس مكانه وهو يكاد يبكى! وعندما حاولت أن أطيب خاطره انحدرت الدموع من عينيه وهو يقول بصوت كفحيح الأفعى:

- هل تصدقن أننى قمت بتقبيل المقعد الذى  
جلست عليه بعد خروجك من مكتبى فى المرة  
الماضية؟! كذلك قبلت كل مكان لمسته يداك  
وقدماك! ما ذنبى إذا كنت بهذا الجمال الساحر  
المشع؟! عشت حياتى كلها أتعيد فى محراب الأنثى ..  
وكان حماسى المنقطع النظير للمرأة من أسباب اختياري  
رئيسا لجهاز « منع الانفجار السكانى »!!

- لكننى مخطوبة وسأتزوج بمجرد عودتى إلى  
بلدى!! فى حين أنك زوج لأربع أنجبين لك أحد عشر  
ولداً وبنتاً!! بل إن وضعك الأسرى هذا يتناقض تماماً  
مع منصبك كرئيس لجهاز « منع الانفجار  
السكانى »!!

- وهل يستطيع أحد أن يمنع الم قدر والمكتوب؟!  
إذا كان الإنسان عاجزاً عن منع انفجار أى بركان  
فهل يستطيع أن يمنع انفجار أى سكان؟! إن  
الأسلوب العلمى يحتم علينا أن نواجه كل الحقائق  
بصراحة وموضوعية دون لف أو دوران!! وأنا لن  
أمسك عنك أية حقائق! لقد روجنا إعلامياً ودعائياً  
لكل موانع الحمل وفى مقدمتها الأقراص واللؤلؤ ..  
لدرجة أن الأطفال كانوا يسألون آبائهم عن وظيفة  
الأقراص وكيفية تركيب اللؤلؤ بعد كل إعلان

يشاهدونه فى التلفيزيون .. فهل هناك توعية أكثر  
شعبية وانتشارا من هذا ؟! ومع ذلك .. فالانفجار  
السكانى مستمر بل ومتزايد ومتصاعد !!

- وما هى الاسباب التى تعوق مهمتكم  
القومية ؟!

- أعتقد أن عدم إحساس المرأة بالاطمئنان  
والاستقرار فى بيتها يدفعها إلى استخدام سلاح  
التكاثر حتى ينوء كاهل زوجها بحمل الأبناء  
فلا يطلقها أو يتزوج من أخرى .. كذاك فإن المرأة  
الولود تفخر دائما بخصوبتها القادرة على الإنجاب  
والتكاثر .. وفى الريف والأحياء الشعبية يعتبر  
الرجل كثرة النسل نوعا من العزوة ومصدرا للدخل  
الاقتصادى فيلجأ إلى اخراجهم من المدرسة الابتدائية  
كى يعملوا فى الحقول أو الورش أو المصانع ..  
ومن هنا كان انتشار الأمية التى عجزنا أيضا عن  
محوها .. وفى اعتقادى أن صمام الأمن الأول الذى  
يمكن أن يمنع الانفجار السكانى يكمن فى محو  
الأمية !! ففوهات الانفجار السكانى تكمن فى الطبقات  
الدنيا التى تنتشر فيها الأمية .. أما الطبقات الوسطى  
والأرستقراطية المتعلمة فتقل فيها احتمالات الانفجار  
السكانى إلى حد كبير !!

شعرت أنني قدته إلى مربي الفرس فسألته :

- ولكن بماذا تفسر زواجك من أربع وإنجابك  
لأحد عشر ولدا وأنت تتربع على قمة « جهاز منع  
الانفجار السكاني » .. وعلى قمة الوعي والعلم  
والثقافة .. ولا تنتمي إلى الطبقات الدنيا من قريب  
أو بعيد ؟!

- كنت أعلم أنك ستسألني هذا السؤال ! لا تظنني  
أنني أنادي بمبدأ ثم أفعل نقيضه !! لقد فعلت هذا  
بناء على فلسفة عملية بعد أن اكتشفت أن نوعية  
المواليد آخذة في الانحطاط والتدهور نتيجة للانفجار  
القادم من الطبقات الدنيا .. وعندما فشلنا في منع  
هذا الانفجار قلت : وداوني بالتي كانت هي الداء !!  
فلنرتفع بمستوى المواليد من خلال انفجار سكاني  
مضاد قادم من الطبقات المتوسطة والأرستقراطية ..  
وهذا هو ما فعلته بالتمام والكمال وأتمنى أن يفعله  
غيري !

- وبذلك نضع الشعب كله بين نارين !!

نهضت فهرع إلى ممسكا بيدي مرة أخرى ! تركتها  
له إذا كان هذا يرضيه ! قال لاهثا :

- أردت أن أبقىك معى أطول مدة ممكنة ..  
حدثتك فى الموضوعات التى أمقتها كالعلمى إذا كانت  
تغريك بالبقاء .. وأخيرا تخدعيني وتتركيني هكذا  
على نار !!

ابتسمت وأنا اخلص أصابعى من يده :

- سأحضر غدا !! وأرجو أن تكون التقارير  
جاهزة لدراستها !

وتركته وهو ينظر إلى ذاهلا غير مصدق أننى  
اغادره بهذه البساطة دون لمسة منه أو حتى اقتراب ،  
وأسرعت الخطى لأخرج وأغلق الباب خلفى !

وفى اليوم التالى ذهبت للقاء الأخير . لم أجد  
تقارير جاهزة أو أى شئ يوحى بالجدية ! وجدت  
العجب العجيب !! كان قد صبغ شعره وعطر نفسه  
بكولونيا اغرقت المكتب فى أريجها ، وارتدى حلة  
بيضاء حريرية ، ورباط عنق أحمر ! وبمجرد دخولى  
ضغط على زر على مكتبه وهو يقهقه فى سعادة  
غامرة :

- هذا هو الزر الذى أضغط عليه فأمنع الانفجار  
السكانى !!



لم أجابه بل سأله في صرامة :

- أين التقارير التي وعدتني بها ؟!

- هذه الأكام الطويلة والفسطان الطويل أزياء  
لا تناسب حرارة اليوم !!

- هذا هو آخر لقاء معك .. فإذا لم أحصل  
على التقارير .. فساغادر المكتب بلا رجعة !

نهض من مكانه واستدار ليواجهني :

- حتى وأنت في غضبك .. سحرك خلاب  
لا يقاوم !!

ثم أمسك يدي فجذبته منه بعنف واستدرت  
لأخرج لكنه تجرأ وقبض على ذراعي بأصابع من  
حديد ألتني ، وانحنى على شفتي محاولاً تقبيلي ،  
لكنني انتزعت نفسي من أحضانه في اندفاع نحو  
الباب ، فإذا به يدس يده تحت الفستان محاولاً  
الإمساك بملابسي الداخلية وانتزاعها قسراً ، فما كان  
منى سوى أن تركت المجال الكهربى يخرج منى  
ليحيط به ويصنّبه بالشلل التام المؤقت ، فابتعدت  
عنه قليلاً حتى زال الشلل عنه لكن طاقته الجنسية

قد تبخرت تماما ، وهو ما أصررت عليه حتى أنجو  
بجلدى ! وبالفعل ظل يتراجع إلى الخلف كأنه تحت  
تأثير منوم مغناطيسى إلى أن ارتدى في مقعده وقد  
وضع رأسه على المكتب بين يديه وهو يتأوه ويتوجع :

- ما الذى جرى لى ؟! لماذا اسودت الدنيا فى  
وجهى بهذا الشكل ؟! أخرجى من هنا .. لا أطيق  
رؤيتك ولا رؤية أية امرأة أخرى !! أخرجى ولا تعودى  
مرة أخرى !! أخرجى .. أخرجى !!

وخرجت وفي قرارة نفسى العودة مرة أخرى كي  
أعيد إليه طاقته الجنسية ! فليس من حقى أن أحرمه  
بهجة حياته !! كنت أتمنى أن يحتويه مجالى الكهربى  
على البعد حتى أفك عقده .. لكن مجالى لا يزال  
قاصرا عن ذلك ولا بد من العودة إلى الدكتور  
الخلفاوى !! لكننى لم أدرك أن طعم الحياة قد ضاع  
تماما عنده لدرجة أنه انتحر فى الليلة التالية بكمية  
مehولة من الأقراص المنومة ! وهاهى صحف اليوم  
تحكى الأيام الأخيرة من حياته ولقاءاتى به ، وكأنها  
تلمح باننى السبب وراء انتحاره !!

صمتت باندورا لتتلمس انطباعات قصتها على وجه  
شهورش الذى قال بلهجته الرزينة :

- لو كانت هناك أية شبهة للإحساس بالذنب ..  
فإنها تتمثل في نسيانك إعادة الطاقة الجنسية إليه  
بمجرد مغادرة المكتب وهو لا يزال في نطاق مجالك  
الكهربى !

اجابت باندورا بنبرات لاتزال تحمل نفس الأسى  
والشجن :

- لم أكن فى كامل وعيى .. كنت مضطربة  
للغاية .. وإحساس بالمهانة والذل يجتاحنى بجرح  
عميق !! فلم أتذكر هذه المسألة إلا فى اليوم التالى  
الذى انتحرفيه بعد منتصف الليل !!

ربت وافد على يدها فى أخوة حانية :

- من حَقَّ أن تدافعى عن نفسك بكل الوسائل  
الممكنة !! فلم يكن من المعقول أن تستسلمى له حتى  
يغتصبك !!

ضحك شهوژش وهو لا يزال يتابع حركة السيارات  
فوق كبرى النيل من شرفة الفندق :

- لم أكن أتوقع أن يتسبب البشر فى كل هذه  
المتاعب للجن !! مما يذكرنى بمثل بشرى قاله  
البروفيسير أبو الليل فى إحدى رسائله لى .. يقول  
المثل : ما عفاريت إلا بنى آدم !!

علقت باندورا بنفس النظرات الشاردة :

- لن أغادر الفندق حتى نعود بالسلامة إلى  
مملكتنا ! كفاني ما جرى لي أو ما جرى مني !!  
ربت شمهورش على وجنتها التي فقدت حمرتها  
المتألقة :

- هذا كلام فارغ .. أنت كنت في حالة دفاع عن  
النفس .. وسأخذك معي كسكرتيرة في المهمة القادمة  
وأعتقد أنها الأخيرة !! سنذهب للقاء الدكتور أنور  
عبد الحفيظ رئيس مجلس إدارة « الهيئة العالمية  
لتوظيف العملات الصعبة » . فإذا فشلنا في مهمتنا  
هذه فسوف نرحل غير آسفين ، وخاصة أنني لاحظت  
منذ حادث نشل حقيبتى من السيارة أن العيون التي  
ترصدنا تتزايد وعلى وشك أن تسجل كل حركاتنا  
وسكناتنا وكلماتنا !! والموضوع ببساطة شديدة أننا جئنا  
لنقدم المساعدة المجانية لا لنقع تحت رقابة العيون !!  
علقت باندورا باسمه لأول مرة منذ الحادث :

- أخشى أن يلقي الدكتور أنور عبد الحفيظ مصير  
النشال والأستاذ عبد العليم والدكتور الخلفاوى !!

قال شمهورش في جدية حاسمة :

- لكل مخلوق مصير لابد أن يلاقيه يوما !!



كانت حورية تجلس فى مكتبها أمام شاشة الكمبيوتر تراجع بعض البيانات حين دخل الدكتور شداد مبتسما كعادته منذ مجيء الخبراء الجدد .  
بادلته ابتساما بابتسام وهى التى كانت تتمنى مثل هذا التقارب الحميم منذ سنوات غير قليلة . جلس إلى جوارها متسائلا فى همس :

- هل لاحظت التوتر الذى سيطر على تصرفات الدكتور حجر فى الأيام الأخيرة برغم أنه كان أسعد الناس بوصول الخبراء الجدد ؟! وأنا الذى كنت متوجسا ومتخوفا منهم أدركت أنهم يسلكون بمنتهى الأمانة والإخلاص !!

توقفت حورية عن دق مفاتيح الكمبيوتر :

- إنه متوتر بعد ما جرى للأستاذ عبد العليم رئيس جهاز مكافحة الجهل والدكتور الخلفاوى رئيس جهاز منع الانفجار السكانى .. الأول كما تعلم .. فضح

كل أسرار جهازه فاتهموه بالجنون وأجبروه على الاستقالة برغم شهادة الأطباء الإخصائيين بسلامة قواه العقلية .. والثاني انتحر فجأة دون سبب واضح وهو الذى عرف بعشقه للحياة وملذاتها !!

- لا أرى أى سبب لهذا التوتر .. الأول لم يستطع مواجهة ذكاء الدكتور وأد. فكشف كل أوراقه .. وهذه عبقرية تحسب للخبير الأجنبي .. والثاني انتحر لأسباب خاصة به ، ولا أعتقد أن سحر الدكتور باندورا هو الذى أودى به ! فجمالها يمكن أن يعيد آمال الحياة كلها للموشك على الانتحار ! بل إن توتر الدكتور حجر انعكس على بوضوح عندما أخبرته بنيتى على لقاء دكتور هورث لإحاطته علما بمشكلة كهف بنى سوف الذى يقع فى قلب محاجر الألاباستر وتحت قرية سنور بمائة متر .. وهو كهف نادر من كهوف الستلاكتيت والاستلاجيميت مغلق منذ عدة سنوات .. كنز لم تمتد يد وزارة السياحة لفتحه وإعداده للزيارة حتى الآن .. وكذلك موضوع سفن نابليون الغارقة فى مياه أبو قير التى توقفت عمليات انتشالها دون سبب واضح .. فى حين أنه كان من الممكن إقامة متحف لها يتهاافت عليه السياح من كل جنس .. وكذلك كنوز سيناء ومعادنها .. وصحارات المياه العذبة فى سيوة التى تنبىء بمستقبل زراعى

بلا حدود .. ومشروع منخفض القطارة الذى لا يعرف  
مضيره احد .. وقوى الشباب المعطل .. والتعليم  
الذى يجب أن يتحول من حشو الرؤوس وتكديس  
الدروس إلى الإعداد المخطط والتأهيل المرسوم ..  
والخبوء من الآثار والذى لا يحده حصر .. فالأرض  
فى مصر عبارة عن سبعة عصور وسبع حضارات  
بعضها فوق بعض ..

صمت شداد لمزيد من شحن الأفكار .. قالت  
حورية وكلها عشق لحماسه المتفجر :

– لن يستطيع الخبراء حل كل هذه المشكلات فى  
مثل هذه المدة القصيرة ! إنها مسئوليتنا نحن بعد  
رحيلهم !

– تعلمين جيدا أن هذا هو المبدأ الذى أصر عليه  
دائما .. لكن مادامنا مصابين بعقدة الخواجا ..  
وأن الله رزقنا بالخبراء الجادين المخلصين ..  
فلننتهز الفرصة ونستفد من وجودهم بقدر الإمكان !  
لكن الدكتور حجر يصر على إبعادى عنهم بحجة أن  
هذه هى رغبتهم فى العمل والبحث بحرية وبعيدا  
عن أية مؤثرات غير موضوعية .. فى حين أنهم فى  
حاجة إلى من يدلهم على مواقع المشكلات حتى يصلوا  
إلى قلبها مباشرة !

- ثق يا دكتور شداد أن الأمور لن تعود سيرتها الأولى كما حدث في المرات السابقة .. وأن الدكتور هورث متفق معك تماما في أن الحل يجب أن ينبع من داخل الإنسان نفسه لا أن يفرض عليه من الخارج .. فإذا لم يتعلم البشر حل مشاكلهم بأنفسهم فلن يحلها لهم أحد ..

- تكاد تكون نفس كلماتي بالتمام والكمال ..  
ولذلك أريد لقاء الدكتور حجر الآن !

لم تخف سحب الكابة وخيبة الأمل في عينيها  
العسلتين :

- كنت أظن أنك أتيت لأنني أوحشتك !!

- احب أن أتى إليك في كل وقت .. فأنت تعلمين كم أرتاح إلى أفكارك ومشاعرك .. وخاصة بعد مجيء هؤلاء الخبراء الذين كشفوا اتفاقنا في الرأي إلى حد كبير !

قالها بجديته المعهودة دون أن يدرك أن كلماته قطرات ماء عذب انهضت على شقوق أرض الهبتها التحاريق .. قالت وهي تنهض واقفة :



- لم أعرف الطمع في حياتى .. تكفينى هذه  
الكلمات الذهبية كى أعيش عليها سنين .. فهى من  
أعز مخلوق لدى فى هذه الدنيا !!

نهض بدوره مع قشعريرة لذيذة تسرى فى  
أطرافه :

- كائنك يا حورية فتحت كهفا مغلقا داخل  
سنوات عديدة .. لم أكن أعى أنه يحتوى على  
أجمل كنوز وجودى وحياتى !

كانت على وشك أن تنطق بكلمات لم يعرفها  
لسانها من قبل فى لحظة هى والسحر سواء ، لكن  
الدكتور حجر اندفع من حجرته كما لو كان قد ألقى  
به من داخلها .. حيا الدكتور شداد واستأذن خارجا  
وفى أعقابهِ هرعَت حورية بعد أن ألمت حاجياتها  
وشدت على يد شداد بالسلام الحار لتؤكد معانى  
ومشاعر جديدة لم تشأ أن تفلت من يدها .

فى السيارة السوداء الفارحة جلست حورية إلى  
جوار حجر الذى صمم على لقاء أبيها البروفيسير  
أبو الليل بعد أن شعر أن شهر العسل على وشك أن  
يتحول إلى جنازة سيشبع فيها لطمًا ، إن لم تكن

جنازته هو شخصيا ! فالأمور تبدو على وشك الإفلات  
تماما من يده • وإحساس ممض ، غامض ، محير  
يوحى إليه بأنه لن يفلت من الدوائر التي دارت  
على عبد العليم والخلفاوى من قبل ! بل إن عبد العليم  
حاول الانتقام لما جرى له بإبلاغه السلطات بأن هؤلاء  
الخبراء ليسوا سوى جواسيس ، وأنهم يستخدمون حيلة  
رهينة في السيطرة على عقول الآخرين لدرجة  
إجبارهم على التفوه باعترافات كاذبة موحى بها  
إليهم من قبلهم ثم يقومون بتسجيل هذه الاعترافات  
لابتزازهم أو تدميرهم !

وبالفعل اتصلت سلطات الأمن بالدكتور حجر  
حتى يدلى بكل ما يعرفه عنهم ، فأنكر تماما كل  
ما قاله عبد العليم عنهم ، لكن السلطات واصلت  
تحرياتهما وخاصة بعد الانتحار الغامض للدكتور  
الخلفاوى والذي أعقب لقاءاته مع الخبرة الأجنبية •  
ورصدت كل سكنات وحركات وكلمات الخبراء  
الأجانب بل وامتدت الرقابة للدكتور حجر نفسه  
الذى سبق أن استدعاهم بدون أخذ موافقة مجلس  
الإدارة • وزادت شكوك السلطات بعد اتصالها بمكتب  
الأمم المتحدة في القاهرة للاستفسار عن حقيقة  
هويتهم ، فأفاد المكتب بأنه ليس على علم بهؤلاء  
الخبراء ، وعموما فإدارات ومنظمات الأمم المتحدة

متعددة ، وسيقومون بالتأكد من كل شيء بعد  
الاتصال بنيويورك ، فربما لم يأتوا عن طريق  
مكتب القاهرة !

كان الصمت الصاخب داخل حجر اعنف من أن  
يتبادل كلمة واحدة مع حورية التي سعدت بهذا  
الصمت حتى يتسنى لها أن تستعيد كلمات شداد  
ولفاتاته ونظراته ولحاته ويده المشدودة على يدها في  
لقاء لم يحدث من قبل . لم تعد تفكر كثيرا في الجن  
وحجر وأبيها بعد تلك اللحظات المضيئة المشعة التي  
عاشتها مع شداد ، والتي كثيرا ما حلمت بها بلا أمل .  
لم تخرج من طبقات خواطرها اللذيذة الناعمة إلا على  
وقوف السيارة أمام باب فيلتها لتخرج مع الدكتور  
حجر ثم تسبقه لتفتح الباب وتقوده إلى المكتب  
حيث جلس لتتركه وتعود بعد لحظات مع أبيها الذي  
دخل بهدوئه المعتاد وغلبيونه الذي يشع بدخانه  
المعطر .. رحب بالدكتور حجر الذي بادره  
بلا مقدمات :

- آسف .. إذا كنت قد أتيت في وقت غير  
مناسب .. لكن الموضوع لا يحتمل أى تأجيل !!  
جلس أبو الليل أمامه وهو يحك لحيته الدقيقة  
باطرافه :

- البيت بيتك .. مرحبا بك في اى وقت ..  
خيرا إن شاء الله !؟

- لن أطيل عليك .. فأحداث الايام الاخيرة  
معلومة لدى الجميع .. بعد أن أصبحت العناوين  
الرئيسية فى الصحف .. المهم أن اتفأقنا مع شهورش  
وطأقمه كان بشرط عدم استخدام الحيل الخارقة  
تجنبأ لآية بليلة أو اضطراب أو فوضى !!

- هذا صحيح ! لكن هذا الشرط استثنأ الاحوال  
الطارئة التى يصعب السيطرة عليها بالوسائل  
البشرية !

- وهل كل ما مر به شهورش وطأقمه كان من  
باب الحالات الاستثنائية !؟

- هم خير من يقدرؤ !! وأنا لا أجرؤ على  
التدخل فى تحديد اسلوب عملهم !!

هبطت الكلمات الاخيرة كخنأجر مسمومة فى  
قلب حجر ! لم يكن يتصور أن الأمر قد أفلت من  
يده بهذا الشكل ، وأنه لعب بالنار دون أن يدرى !  
قاوم أمواج الاحباط العارمة داخله :

- لكنك أنت الذى استدعيتهم مما جعلنى اظن  
أنت قادر على التعامل معهم على أقل تقدير !!  
- لكنك أنت الذى وافقت على استدعائهم حتى  
بدون أخذ موافقة مجلس الإدارة !!

حاول حجر استعادة زمام المبادرة قدر  
إمكانه :

- عموما .. لن ندع ما جرى كى يفسد  
ما بيننا .. المهم الآن ما سوف يجرى ! أريد إنهاء  
مهمتهم بأسرع ما يمكن !! طبعاً بعد إذنك !!

- اتظن أن يكون لى فى الأمر إذن أو رأى ؟!  
مع هؤلاء لا يملك بشر أن يفعل شيئاً !! فهم مثل  
قوى الطبيعة أو القدر !! لا نملك حيالها شيئاً !!

- ولماذا لم تقل لى هذا الكلام قبل استدعائهم ؟!

- إنه كلام يعرفه العامة قبل الخاصة .. وأنت  
يا دكتور حجر لست فقط من الخاصة بل من الصفوة  
التي تفيض بعلمها على الآخرين !

ولأول مرة يفقد حجر قدرته على التحكم فى  
الكلمات الساقطة من طرف لسانه المتسائل فى حيرة :

- وهل سنتركهم يعيشون فى الأرض فسادا هكذا  
إلى ما شاء الله ؟!

سحب أبو الليل نفسا عميقا من غليونه وهو  
يتمتم :

- جعل الله كلامنا خفيفا عليهم !! جاءوا لخدمتنا  
فإذا لم يلقوا سوى الإهانة مقابل الخدمة .. فلا أعرف  
كيف سيكون انتقامهم ؟!

سرى رعب كرهه فى أوصال حجر ، أصاب صوته  
ببحة ذليلة :

- اليس هناك ما يمكن عمله ؟! هناك استجواب  
مقدم فى مجلس الشعب !!

- لا أرى أى سبب وجيه للرعب الذى يجتاحك  
بهذا الشكل ؟!

- لم يسلم أحد من الذين تعاملوا معهم ؟!  
- لأنه فى النهاية لا يصح إلا الصحيح ..  
ولا اعتقد أنهم جاءوا للانتقام .. فليس بيننا وبينهم  
ثار قديم .. بل هم لا يعرفون الانتقام أو الشر  
لأنهم لا يخوضون فى صراعات عقيمة مثلنا ..

والمصلحة الخاصة لا تنفصل عندهم عن المصلحة العامة !! ولذلك لا يخشاهم إلا من يدوس على الصالح العام من أجل مصالحه الشخصية .. وأنت يا دكتور حجر لم يعرف عنك سوى أنك رجل الصالح العام .. اليس كذلك ؟!

لم يعرف حجر إذا كان الرجل يحدثه بجدية أم بسخرية ؟! واجتاحه إحساس مفاجيء مريب بأن مؤامرة خبيثة قد حيكت ضده ! فهو لم يقترح استدعاء هؤلاء الغفاريت لشكه في وجودهم أصلا ، بل كان أبو الليل هو صاحب الاقتراح المشؤوم ، كذلك فوجيء بسعادة شداد بسلوك الخبراء وحماسه المتدفق بعد أن كان رافضا للفكرة من أساسها ، ثم التقارب الحميم بين شداد وحورية التي تجلس الآن معهما دون أن تنبس ببنت شفة وكأنها تتابع فيلما على شاشة التلفزيون لا يهمها في كثير أو قليل ، بل إن هناك نشوة كامنة في أركان عينيها العسليتين منذ أن تركت شدادا لتصطحبه إلى هنا !! فهل هي مؤامرة لتحطيمه والتخلص منه كي يخلفه شداد ويتزوج من حورية ؟! وهل كان هؤلاء الخبراء حقا من الجن ؟! أم هم مجرد نصابين محتالين جاءوا لتنفيذ ما خططه أبو الليل ؟! لكن من أين لهم هذه القوى الخفية المخيرة الغامضة التي تلمح إليها الصحف ؟! أم أن

الموضوع مجرد شائعات في شائعات وما أكثرها في  
أية موضوعات أخرى ؟! أم إنهم سحرة وما أسهل  
أن يتعامل أبو الليل معهم ؟! أم أنهم جواسيس  
يستخدمون حيلة تكنولوجية متقدمة كما اتهمهم  
عبد العليم الذى اتهم بالجنون وأقيل من منصبه ؟!

- لماذا لا تقابل بنفسك مشهورش وتستفسر منه  
عن الأشياء التى تحيرك ؟!

افاق حجر من هواجسه وخواطره المحمومة على  
سؤال أبو الليل الذى أصابه بمزيد من الإحباط  
والضيق . فتساءل فى حق مكبوت :

- واين دور الوسيط الذى اتى به ؟!

- ليس لى أى دور على المستوى الرسمى !!  
فلم أكن إلا واسطة خير ! كما إننى لا أملك أية  
دراية بمشكلات جهازكم وخباياه !!

نهض فجأة كمن لدغته عقرب :

- أنا مقاتل شرس .. ولا أستسلم بسهولة ..  
ولن أعدم الوسيلة التى انتقم بها من كل من يحاول  
أن يتلاعب بى !! حتى لو كان من العفاريت الزرق  
أو الحمير !! عن إذنكم !!



وخرج مندفعاً من المكتب الذى لم يشرب فيه كوب ماء ، هابطاً على درجات السلم الرخامى صوب باب الفيلا الذى فتحه ليلقى بنفسه داخل سيارته الفارهة التى انطلقت دون أن يعرف ما إذا كانت حورية قد انطلقت فى أعقابه لتهدئته أم أنها لم تعر الأمر أية أهمية ؟! نظر خلفه فلم يجد أحداً واقفاً بباب الفيلا ! نظر أمامه فوجد الدنيا قد أصبحت أكثر سواداً وعمّة برغم أن شمس العصر كانت تفتersh الطريق ببساطها الذهبى اللامع .

• • •

أوقف شهورش سيارته أمام مبنى « الهيئة العالمية لتوظيف العملات الصعبة » ليخرج منها بصحبة باندورا التي يهرتها أناقة الواجهة الرخامية التي تومض بضوء الشمس برغم لونها البنى الداكن ، في حين استدار شهورش ليتابع بالوعة مجارى مفتوحة في منتصف الشارع ويد بشرية تخرج منها بين الحين والآخر لترص أكواما من الفضلات السوداء التي تسيل حولها بمياه رمادية داكنة .

دخلا من الباب البلورى حيث وجدا كل شيء بالمرمر الأبيض والرخام الوردى : مكتب الاستقبال والاستعلامات ، الجدران وواجهة المصعد الذى يومض بأرقامه الخضراء الإلكترونية . وسرعان ما انتفض موظف الاستقبال ليصطحبهما داخل المصعد لمعيق بعطور أوروبا وأمريكا حتى الدور السابع حيث مكتب الدكتور أنور عبد الحفيظ رئيس الهيئة . كانت السكرتيرة الفاتنة بشعرها الأحمر المحيط بوجهها

الابيض ذى النمش الذى زادها إغراء وجاذبية قد  
وقفت لتسلم على دكتور هورش برقة وحرارة فى حين  
كانت تتأمل جمال باندورا وسحرها وكان عينيها  
تقولان لها :

- إننى لا أقل عنك جمالا وسحرا !

ثم اصطحبت دكتور هورش لمقابلة الدكتور  
رئيس الهيئة تاركة باب مكتبه مواربا ، وسرعان  
ما عادت منه لتغلقه وتشرع فى الثرثرة مع باندورا  
التي دخلت قلبها من أول نظرة !

جلس دكتور هورش أمام رئيس الهيئة الذى لاحظ  
التطابق بين نظارتيهما الذهبيتين الثمبتين ف شعر  
أن التفاهم بينهما لن يكون صعبا ! افتتح الدكتور  
أنور الحوار أو التفاوض بابتسامة مضيئة سبقت  
كلماته :

- نحن هنا فى الهيئة نرحب بكل رجال الأعمال  
الدوليين القادرين على إنجاز مشروعات قومية  
ضخمة .. فنحن لا نعانى من القيود البيروقراطية  
التقليدية .. بل لا نعتبر هيئة حكومية أساسا ..  
وإن كانت الحكومة تستعين بنا فى كل المشروعات

الاستثمارية .. فلدينا أكفأ الخبراء على أحدث  
مستوى عالمى ونملك أعظم الخبرات فى مجال توظيف  
الأموال !

سعد شهورش لدخوله أول مؤسسة لا تعاني  
من القيود البيروقراطية وجلوسه أمام المسئول الذى  
يستطيع أن يتخذ القرار الفورى بمجرد الاقتناع به  
فى حين فتح الرجل علبة سيجار فاخرة ليقدم منها  
لدكتور هورش الذى اعتذر شاكرا . أشعل سيجارا  
أطلق دخانه صافيا شفافا واستأنف حديثه بلهجته  
الارستقراطية المتعالية :

- وقد حصلت على فكرة سريعة عن مشروعكم ..  
لكننى الآن أريد أن أعرف كل شئ بالتفصيل عنه ..  
حتى أحيله لقسم دراسات الجدوى !

- المشروع بسيط برغم ضخامته .. فأننا أملك  
مؤسسة تخصصت فى صناعة الثلجات العملاقة وتعليب  
المأكولات .. وخاصة الأسماك بكل أنواعها .. وهى  
ثلجات ثابتة ومتنقلة على حد سواء .. وقد وجدت  
أن مصر تتمتع بسواحل شاسعة سواء على البحر  
الأبيض المتوسط أو البحر الأحمر أو البحيرات  
الطبيعية أو الصناعية مثل بحيرة السد العالى التى

تكاثرت فيها الأسماك حتى توحشت .. وبرغم ذلك فإن مصر تباع الأسماك بأسعار خيالية لا يقدر عليها المواطن العادى .. لدرجة أن بعض أنواع الأسماك أصبحت رواية يتندر بسعرها وليس طعاما يمكن تناوله !! فكرت فى البداية فى أسطول صيد يعمل سواء فى البحر المتوسط أو البحر الأحمر .. لكننى وجدت أن التكاليف ستكون أسطورية ولن يعود بأرباح يمكن أن تغطيها بسهولة وبسرعة .. عندئذ فكرت فى استخدام المرافق المصرية المتاحة بالفعل .. وخاصة مرفق السكك الحديدية العريق الذى كان ثالث مرفق ينشأ فى العالم بعد بريطانيا والهند .. من هنا كان مشروعى لاستغلال أسماك بحيرة السد العالى .. فاصطيادها سهل وغزير ويمكن شحنتها فى قطار يشتمل على عشر عربات / ثلاثيات .. وفى إمكان هذا القطار أن يوزع السمك على المحطات التى يقف عليها حتى القاهرة .. ومن القاهرة يمكن توزيع الحصة المتبقية بأسطول سيارات على الوجه البحرى .. ويمكن لهذا القطار أن يقوم برحلتين أسبوعيا على الأقل .. وبذلك نحل مشكلة اللحوم التى تعاني منها مصر .. وفى مرحلة تالية يمكن إنشاء مصنع لحفظ الأسماك وتعليبها وتصديرها سواء على ضفاف بحيرة السد العالى أو فى أى مكان آخر يمر به القطار ..

ترك الدكتور أنور السيجار ينطفئ في المنفضة  
البلورية وقد تدفق الإعجاب من خلف نظارته الذهبية  
قائلًا :

- عظيم .. عظيم .. مشروع واضح ومتبلور  
للغاية .. لكن ما تكلفته الإجمالية ؟!

- ثلاثون مليون دولار ..

- ياه !!

- هل التكلفة ضخمة إلى هذا الحد ؟!

- ليس هذا قصدي .. أقصد : هل هي تكلفة  
إجمالية تشمل كل المتعلقات ؟!

- بالطبع !

- وهل هي التكلفة الفعلية للمشروع ؟!

تساءل شهورش في حيرة ممتزجة بضيق  
طارىء :

- وهل هناك فرق بين التكلفة الفعلية  
والإجمالية ؟!

عبرت سحابة ضيق وجه الدكتور أنور :

- فلنتكلم بصراحة إذن ٠٠ ما مقدار العمولة  
في هذا المشروع ؟!

- أية عمولة ؟!

- عمولتي عن المشروع !

كان شمهورش يدرك جيدا ما يقصد إليه محدثه  
لكنه واصل الكيد :

- هل تقصد اجرى ؟!

- أجرى ٠٠ عمولتي ٠٠ مكافأتي ٠٠ المسميات  
لا تهم إطلاقا !

- وكم تقدر هذه العمولة ؟!

- خمسة ملايين دولار !

لم يشأ شمهورش أن يكتم شهقة نددت عنه :

- وما المجهود الجبار الشاق الذي ستقوم  
به مقابل هذه الثروة ؟!

اجاب ببرود مقصود وهو يعيد إشعال السيجار :

- موافقتي على قبول المشروع ٠٠ أي أنه سيتكلف

خمسة وثلاثين مليون دولار !! أظن أنني أصبحت في  
منتهى الوضوح !!

- هذا المشروع من أجل كل الشعب !

- انقضى زمن الاشتراكية وكل شعاراته الرنانة  
وكلماته الطنانة ! فلقد أتيت إلينا من أجل مؤسستك  
العملاقة وليس من أجل سواد عيون الشعب ! فلن يكون  
قلبك .. وأنت الأجنبي الغريب .. نحن منا على  
شعبنا !!

- وكيف حددت مقدار الجمولة قبل إحالة المشروع  
لقسم دراسات الجدوى ؟! اليس من المحتمل أن يرفض  
القسم المشروع لعدم جدواه ؟!

نظر إلى ساعته الذهبية وقد بدا متاففا :

- وقتي ثمين للغاية .. ولا أحب سوى الكلام  
في الموضوع .. وسوف تندم إذا عدت لعرض مشروعك  
على الهيئة .. فأنا متأكد من أن خليفتي سيطلب  
عمولة أكثر من ذلك بكثير .. فأنا على وشك الاستقالة  
للتفرغ « للبنك العربي الصقلي » الذي سيفتح  
قريبا !!



- البنك الذى شارك فيه بعض الأمراء العرب  
وبعض رجال الأعمال فى باليرمو فى صقلية ؟! تحت  
إشرافك ورئاستك ؟!

- واضح أنك درست كل شئ عنى قبل مجيئك  
إلى هنا ! وبالتالى لم يكن هناك داع لكل هذا الجدل  
وتضييع الوقت !!

لم يشأ شهورش أن يواصل حديثه فنهض  
ليقول :

- اسم البنك ينطوى على جراءة نادرة !!

نهض الدكتور أنور بدوره قائلاً :

- أسميناه هكذا تيمناً باسم القائد العربى جوهر  
الصقلى الذى أسس مدينة القاهرة !

شد شهورش على يد أنور ثم تركها قائلاً وهو  
يفادر المكتب :

- الكل يتمسح هذه الأيام بأسماء وشخصيات  
تراثية عريقة لعله يكتسب سمتها الجليل ويصبح  
بدوره ذاتا مصونة لا تمس .. شكرا .. عن إذنك !

كان الدكتور أنور على وشك أن يرد الصاع صاعين  
لكن شهورش كان قد اختفى خلف الباب الذي أغلق .  
انطلق خارجا وفي أعقابهِ باندورا التي يبدو عليها  
أنها استمرت الثثرة مع السكرتيرة . قالت له والمصعد  
يهبط بهما :

- استمعت إلى حكايات وأساطير حقيقية يصعب  
أن نجدها في حكايات ألف ليلة وليلة وأساطير الجن  
والعفاريت !!

لكن بدا على شهورش أنه فقد كل اهتمام بما  
يفعله البشر ، فلم يعقب على كلماتها المشوقة وانطلق  
خارجا من المصعد إلى الباب الخارجى حيث كانت  
الشمس لاتزال ساطعة . وقعت عيناه على تجمع  
حول بالوعة المجارى المفتوحة وصوت استغاثة يتردد  
بين جنباتها :

- الحقونى .. انا فى عرضكم .. ساغرق ..  
ساغرق !!

واختلطت أصوات الاستغاثة وصرخاتها بصيحات  
المتحلقين حول الفوهة المفتوحة :

- ألقوا إليه شئ يمسك به !! ألا يوجد من

ينقذه؟! سيموت الرجل في شربة ماء!! النجدة ..  
النجدة!!

ترك شهورش مفاتيح السيارة لباندورا التي  
فتحتها وجلست فيها ، في حين انطلق محاولا إفساح  
طريق له وسط الزحام المتكالب على البالوعة لكن أحدا  
لم يتزحزح ولم يلتفت إليه ، فإذا بالمجال الكهربى  
داخله ينطلق كسكين غير مرئية شطرت الدائرة نصفين  
وسط صيحات وصرخات الذين سقطوا على بعضهم  
بعضاً ! وقف شهورش بقامته الفارعة على حافة  
البالوعة فوجد داخلها رجلاً نحيفاً هزيلًا ، توشك  
المياه السوداء أن تبتلعه تماماً ! مد يده فوق البالوعة  
فسرى المجال المغناطيسى في ذراعه ليمس رأس الغريق  
ثم أخذ في هزها بعنف فإذا بالرجل يرتفع بالتدريج ،  
والذهول يمسك بخناق الواقفين الفاعرين أفواههم  
وهم يصيحون :

- عريان!! عريان!! أعوذ بالله!!

كاد رأس الرجل أن يلتصق بكف شهورش الذى  
لم يجد مفراً من أن يلقي به ، بكل الفضلات والمياه  
السوداء المتناثرة من جسمه العارى فوق المتشبهين  
بمتابعة المشهد عن كثب ، فعلا صراخهم الاستنكارى  
وتأوهاتهم الغاضبة تحت وطأة الرذاذ الذى أغرق

معظمهم وبين صيحات الرجل ودعواته لمنقذه بطول  
العمر وعمار البيت !!

لم يصدق الواقفون ما جرى أمام أعينهم وشمهورش  
يقف بينهم بقامته الفارعة يحاول أن يشق طريق عودته  
لكن أحدا لا يفسح له ثغرة ينفذ منها !! مد ذراعه  
فانشطروا نصفين بعيون ذاهلة ، وأفواه فارغة ،  
والسنة صارخة في حين سار شمهورش واثق الخطو  
إلى حيث السيارة التي ركبها وانطلق بها حتى  
اختفت عن الأنظار ولاتزال جدران المباني تردد  
الصيحات الذاهلة :

- ساحر !! عفريت !! جنى !! يا ساتر يا رب !!  
هل تصدقون ما جرى ؟!

وفي المساء كانت المدينة تغلى بالشائعات ،  
وسيارات الأمن التي لم تهدأ أبواقها وكشافاتها  
الزرقاء وخاصة عند احتمالات التجمهر في أى شارع  
أو ناصية أو ميدان ! ولم تستطع أجهزة الإعلام  
والصحافة أن تتجاهل أو تخفى التساؤلات والهواجس  
والمخاوف التي انتابت الناس ، فافردت لها البرامج  
والصفحات بهدف صد الأمواج واستيعاب الهزات  
المتتالية بحيث يصبح الأمر كله مجرد هواجس  
وطنون تقبل التصديق أو التكذيب في بداية الهوجة ،  
ثم تغلب نبرة السخرية والاستنكار والتهكم من هذه

الأكاذيب الساذجة ، وخاصة أنه لم يحدث أن اتفقت  
مجموعة واحدة من الناس حول حقيقة ما جرى ،  
وهى الحقيقة الغائبة التى تراوحت بين غزو العفاريت  
والأشباح وهجوم الأظليق الطائرة التى أتت  
بمخلوقات غريبة من كواكب أخرى بعضها طويل  
كالنخلة وله رأسان أخضران صغيران وبدون عيون ،  
والبعض الآخر مستدير كالقرص وله وجه عريض به  
ثلاث عيون مضيئة ! والغريب أن كل جماعة كانت  
واقفة مما تقوله ثقة كاملة ، ولم تحتل الأسئلة التى  
كانت موجهة إليها وتحمل بين طياتها شبهة شك  
أو تشكيك !! وخاصة بعد أن قدم أعضاء مجلس  
الشعب استجابين لكل من وزير التنمية الإدارية  
ووزير الداخلية !!

أما على المستوى الرسمى فقد وضعت خطة  
لاستدعاء الخبراء الأجانب ومعهم الدكتور حجر  
للتحقيق معهم بعد أن أعلن مكتب الأمم المتحدة فى  
القاهرة أن مقر الهيئة بنيويورك قد أفاد بأن هؤلاء  
الخبراء لا يمتون بأية صلة لأية منظمة من منظماتها .  
وكان الاستدعاء صورة ناعمة للقبض عليهم حتى  
تتضح أبعاد الدوامة العميقة والغامضة التى أحدثوها  
بحجة المساهمة فى حل المشكلات الإدارية التى تعانى  
منها البلاد !

• • •

اسقط في يد الدكتور حجر وهو يواجه المحقق  
 بإجابات هزيلة ونبرات مرتعشة ضاعفت من شكوكه .  
 ففي البداية أصر على اتصال مكتب الأمم المتحدة في  
 القاهرة بمكتبه لإيفاد هؤلاء الخبراء وعندما ووجه  
 بممثل المكتب تراجع وادعى أنهم جاءوا مبعوثين من  
 قبل « مجلس الإدارة الأعلى » في جنيف بسويسرا  
 وهو مجلس ليس له فرع في القاهرة ! لكنه مع تضيق  
 الخناق عليه تراجع للمرة الثالثة وطلب مواجهته بهم  
 لعله يستطيع كشف حقيقتهم أمام المحقق الذي كان  
 قد أمر باستدعائهم لكن السلطات المنوطة بذلك ردت  
 بإجابات غير حاسمة وغير مريحة ، فقد ظلت أربع  
 ساعات ترد بأنها في سبيلها لإحضارهم لكنهم لم  
 يحضروا !!

وفي المساء تم استدعاء الدكتور شداد والدكتور  
 أنور عبد الحفيظ والأستاذ عبد العليم الرئيس السابق  
 لجهاز « مكافحة الجهل » بل والنشالين اللذين قبض  
 عليهما دكتور هورش وعامل المجارى الذى أنقذه ،

وذلك بناء على إصرار الدكتور حجر على أن تعامل هؤلاء مع الخبراء الغامضين كان أكثر بمراحل من تعاملهم معه ، فلم يكن هو سوى واسطة بينهم ، وخاصة أن دكتور هورش أصر منذ البداية على التعامل مع الواقع ، ورفض مجرد الاطّلاع على الملفات والتقارير والدراسات السابقة !

لكن أقوالهم لم تزد المحقق سوى المزيد من الحيرة والغموض والتخبط ! فقد فجر الدكتور شداد قنبلة عندما قرر أن دكتور هورش قد زاره مودعا في مكتبه في الصباح وأبدى أسفه أنه لم يجد الدكتور حجر ليودعه ، وقدم له تقريراً ختامياً عن مهمته ، وعندما سأل المحقق الدكتور شداد عن عدم إبلاغ السلطات بوجود دكتور هورش في مكتبه ، أجاب بأن أحداً لم يطلب منه ذلك ! بل كانت الزيارة مفاجئة ولم تستغرق سوى خمس دقائق سلم فيها التقرير ومضى !

تناول المحقق التقرير فوجده مكتوباً بالإنجليزية ولا يزيد على عدة أسطر . شرع في قراءته بصوت مسموع :

- إن المشكلات التي واجهناها ليست بمشكلات على الإطلاق ! ذلك أن حلولها واضحة كالشمس

ومعروفة لدى الجميع ولا يتبقى سوى الشروع فيها  
بجدية ! لكن المشكلة الحقيقية بل المأساة تتمثل في  
وجود قوى خفية تعيش على هذه المشكلات كما يعيش  
الذباب على أكوام القمامة ! ولذلك فهي تعوق أى  
حل محتمل لهذه المشكلات ، لأن هذا الحل لا يعنى  
سوى ضياع امتيازاتها بل وإنهاء وجودها ذاته ! وقد  
تتخفى هذه القوى فى بعض الأحيان فى زى مسئولين  
كبار فى بعض المواقع والهيئات والمؤسسات ، لكن  
هؤلاء لا يشكلون سوى قمم أو نتوءات صغيرة لجبال  
الجليد المخفية تحت أمواج المحيط وسطحه الذى  
قد يوحى بالهدوء الكاذب !

اقترب صوت المحقق من الهمس عندما استشعر  
خطورة التقرير المتصاعدة :

- لا أريد أن أبالغ وأقول بأن هناك حكومة  
خفية على غرار التنظيم الطليعى فى عهد  
عبد الناصر .. ولكن هناك شبكة معقدة من المصالح  
الخاصة الخفية التى تمتص رحيق ودماء المصالح  
العامة الظاهرة . وليس هناك علاج لهذه الأنيميا  
الإدارية والحضارية سوى تمزيق هذه الشبكة  
الأخطبوطية حتى يصبح جسم الأمة ، أى علاج الجذور



قبل علاج الفروع • وبذلك ينطلق هذا البلد العظيم  
إلى آفاق الحضارة المعاصرة ، وهو قادر على ذلك  
لأنه البلد الذى منح الإنسانية الحضارة الأم ، ، ،

#### المخلص

دكتور ش • م • هورش

حاول المحقق إخفاء علامات رضاه عن هذا  
التقرير ، فسرعان ما قطب وجهه وعاد إلى استجواب  
شداد الذى لم يجد عنده أكثر مما سبق أن قاله فشكره  
وطلب منه الانصراف بعد أن احتفظ بالتقرير فى ملف  
القضية •

ثم جاء دور الدكتور أنور عبد الحفيظ رئيس  
« الهيئة العالمية لتوظيف العملات الصعبة » فانطوت  
أقواله على كثير من التحيز ضد دكتور هورش ،  
والتقليل من شأنه وقدراته ، وسخر من الأقاويل  
التي دارت حول قواه الخفية ، بدليل أن قواه هذه  
لم تسعفه وتساعده فى عقد الصفقة التى جاء بها  
للهيئة ، بل بدا وكأنه لا يعرف ماذا يريد بالضبط ؟!  
فكيف لهذا المضطرب المهزوز أن ينقذ عامل المجارى  
الذى سقط فى البالوعة أمام مقر « الهيئة العالمية

لتوظيف العملات الصعبة « دون أن تتسرخ يدها ؟! هل كان الوحيد الذى يمكنه هذا وسط كل اولاد البلد الملتفين حول الفتحة ؟! ونحن شعب عرف بالمروءة والشهامة ونجدة الملهوف ؟! كذلك لم يقدم مدير الأمن بالهيئة اى تقرير له عن هذا الحادث !! مما يدل على أن الأمر كله هواجس وتخاريف خصوصا ونحن شعب خفيف الظل ، واسع الخيال ، يميل دائما إلى ان يصنع من الحبة قبة !!

ثم جاء دور الأستاذ عبد العليم الرئيس السابق لجهاز « مكافحة الجهل » فأصر على أنه شك منذ البداية في شخصية الدكتور وافد كخبير أجنبى ، فقد كانت أسئلته مثيرة للريبة ويهدف أن يحصل على معلومات يريددها هو لغرض في نفسه . لكن عبد العليم لم يستطع تبرير التصريحات التى تفوه بها وسجلها له ، ولم يستطع إنكارها برغم كل حرصه الشديد الذى بلغ مرحلة الشك والريبة فى كل ما يهدف إليه الخبير الأجنبى ، كذلك لم يستطع تبرير أو تفسير السر فى ضياع محضر اجتماع الخبير بمجلس إدارة جهاز « مكافحة الجهل » ، وهو المحضر الذى كان من الممكن أن يبدد بعضا من الغموض المعتم الذى يحيط بالقضية ! وفى نهاية الاستجواب لم يجد عبد العليم قشة يتعلق بها سوى تقرير إخصائى

الأمراض العصبية والنفسية بأنه كان في كامل قواه العقلية ، وإن تصريحاته تلك كانت من باب النقد الذاتي ومن حقه أن يعود لاحتلال مقعد رئيس جهاز « مكافحة الجهل » مرة أخرى ، إذ أنه طرد من منصبه ظلما وعسفا !!

ثم جاء دور النشالين اللذين قبض عليهما دكتور هورث ، فكانا ينتفضان كلما ورد ذكر اسمه في التحقيق ! حاولا في البداية تبرئة ساحتهم من سرقة ، وعندما علما أن التحقيق يدور حول هورث وليس حول حادث السرقة ، لم تخرج أقوالهما عما دار بينه وبين أمين الشرطة في السيارة وهم في طريقهم إلى القسم حين قال له إنه ساحر جاء إلى مصر ليقدم عرضا كبيرا في السيرك القومي ! وعندما سئلا عن القوى السحرية التي استخدمها في القبض عليهما وجدا نفسيهما من حيث لا يدريان ينكران مثل هذه القوى ! وقد أيدهما في ذلك أمين الشرطة الذي لحق بهما في نهاية التحقيق معهما ، فهو لم ير شيئا أو لحظة من هذه القوى وإنما سمع عنها !!

ثم جاء دور عامل المجارى الذى انقذه دكتور هورث ، فأنكر أنه رآه على الإطلاق ، إذ أنه لم ير في سقطته داخل البالوعة سوى وجوه المارة وهى

تطل عليه ، وأيديهم وهى تمتد إليه ، وأخيرا بلغت يد أحدهم لتنتشله من الغرق ! لا يعرف كيف على وجه التحديد وإنما هذا هو ما جرى له ؟! وخاصة أنه انشغل بمواراة جسمه العارى بمالقى إليه من قطع متناثرة من الملابس ! صحيح أنه يؤمن بوجود الغفاريت والجن والأشباح تحت الأرض ، وخاصة فى بالوعات المجارى لكن الذى أنقذه لم يكن من أسفل بل من أعلى فتحة البالوعة ، من الشارع تحت نور الشمس الساطعة التى لم تجعله يميز الوجوه المطلة عليه ! ولكن أيا كان الذى أنقذه فهو ابن حلال ويدعو له بالخير والصحة وطول العمر ليل نهار !!

وانتهت أحوال الذين أصر الدكتور حजर على استدعائهم واستجوابهم ، فلم تنقذه من المازق الذى لا يعرف كيف يخرج منه ، وفى الوقت نفسه دخلت بالتحقيق فى طرق مسدودة ومعتمة ووعرة ! إذ جاءت الاشارات إلى المحقق بأن السلطات لاتزال فى بحثها المحموم عن الخبراء الأجانب ، وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء بعد تحقيق بدأ منذ التاسعة صباحا ! بل إن إشارات الأمن أكدت أن رجال الشرطة السرية الذين وضعوا مبنى « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » تحت المراقبة منذ مساء البارحة لم يروا دكتور هورش وهو يدخل المبنى على الإطلاق ! وعندما

سئل موظفو الجهاز 'يدوا أقوال رجال الشرطة السرية ، لكن حورية مدير مكتب الدكتور حجر أيدت أقوال الدكتور شديد لأنها كانت شاهدة عيان للقاء الذى دار بينهما وسلمه فيه تقريره النهائى وحياه مودعا !

كان الدكتور حجر يحتفظ فى جعبته بأخر سهم حاول ألا يطلقه لاحتمال إصابته به هو نفسه !! لكن عندما بلغت الأمور هذا الحد المخيف لم يعد هناك ما يخاف منه أو عليه ، وقرر إطلاق السهم الأخير وليكن ما يكون !! فقد تأكد من أنه لن يترك حرا إلا إذا أفرغ كل ما فى جعبته وبلغ التحقيق لب الحقيقة ! فجميع من تعرضوا للتحقيق عادوا إلى منازلهم إلا هو ، وقد بلغ زهده فى الحياة إلى الحد الذى تمنى فيه أن يستقيل من منصبه مقابل عودته حرا إلى بيته الذى يحن إليه كثيرا برغم أنه لم يبتعد عنه أكثر من يوم واحد !

كان المحقق قد انهك مع طاقمه عندما أخبره الدكتور حجر بأنه سيعترف بكل ما يعرفه حتى يوفر على الجميع مشقة البحث عن أوهام وهواجس وخرافات لا أساس لها ، ابتسم المحقق لأول مرة

طالباً من أحد مساعديه تفريغ منفضة السجائر من  
بقايا اللفافات التي شكلت هرماً . ثم قال لحجر :

- لا أقول لك سرا أن نتيجة التحقيق مطلوبة غدا  
على أقصى تقدير .. حتى يمكن إذاعتها على الراى  
العام الذى ينتظرها بشوق أكثر من انتظاره نتيجة  
مباراة الكاس أو الدورى بين الأهلئ والزمالك !!  
ولذلك فانا حبيس مثلك تماما حتى لحظة إقفال  
التحقيق !

ابتسم حجر فى حرج وقد خرجت كلماته بطيئة  
متردة :

- لكن أرجو أولا ألا تتهمنى بالجنون .. فما  
سأقوله لك أغرب من الخيال .. لكنه واقع فعلى ..  
وفى اعتقادى أنهم لم ولن يجدوا هؤلاء الخبراء  
الأجانب بعد أن أعياهم البحث عنهم !

عاد المساعد بالمنفضة نظيفة فارغة فأشعل المحقق  
سيجارة جديدة وهو يسأله فى لهفة :

- ماذا تقول ؟! هل قتلهم أحد وأخفى جثثهم ؟!  
عاد حجر إلى ابتسامته الحرجة :

- ألم أقل لك إنه أمر أغرب من الخيال ؟!  
هل أستسمحك في إخلاء الغرفة لأننى أعتقد اننى  
سأدلى بحقائق خطيرة لا أعرف ما يمكن أن يترتب  
عليها على وجه التحديد ؟!

أوما المحقق لمساعديه اللذين تركا الغرفة وأغلقا  
الباب خلفهما • ادار جهاز التسجيل قائلا لحجر :

- تفضل !

حمحم حجر وتردد قليلا ثم اندفع قائلا :

- كل ما قاله رجل الشارع عن الجن والعفاريت ..  
صحيح مئة فى المئة .. برغم أننا نستهن بذكائه  
ووعيه وإدراكه فى كثير من الأحيان !

اعتدل المحقق وانتصب فى جلسته • وقبل أن  
يتفوه بكلمة بادره حجر بلهجة أكثر رصانة ووثوقا :

- ولدى شهود عيان إلا إذا أنكروا .. عندئذ  
لن يكون لى فى الأمر حيلة !

ثم اندفع ليقص عليه كل التفاصيل غير عابئة  
بنظرات المحقق التى تتراوح بين الشك والتكذيب

والتبرير والابتسام الحرج إلى أن تخلص حجر من  
العبء الذى كان يبهظ كاهله • عندئذ سأله المحقق  
وهو يتحسس كلماته :

- وهذا يعنى أن البروفيسير أبو الليل وابنته  
مدام حورية هما شاهدك الوحيدان ؟!

- هذا إن صدقا فى شهادتهما ! فلم اعد أثق فى  
أحد !!

سأله بنبرات لا تخلو من ارتياح كشفت نظراته  
المتفحصة :

- هل نستدعيهما ؟!

- بلا أى تردد !

وبعد أقل من ساعة كان البروفيسير أبو الليل  
وابنته حورية يمثلان أمام المحقق الذى كان كل أمله  
أن يكذب الدكتور حجر حتى يتسنى له إحالته لفحص  
قواه العقلية ويقفل بذلك التحقيق ليقدم تقريره لكل  
من وزير الداخلية ووزير التنمية الإدارية اللذين  
ينتظرانه على أحر من جمر لإعداد بيانهم أمام  
مجلس الشعب • أما الدكتور حجر فظل فى الغرفة



المجاورة وقلبه صلاة خاشعة كى ينطقا بالحقيقة  
العارية من كل غطاء أو زيف !!

ذهل المحقق للأسلوب العلمى ، الهادئ ،  
الرصين الذى يتحدث به البروفيسير أبو الليل عن  
عالم الأرواح وعلمه الذى لا يتمكن منه سوى قلة من  
الواصلين علميا وروحيا ! ذلك أن أسرارها لا تحتاج  
لقدرة عقلية فحسب مثل العلوم الطبيعية والإنسانية  
الأخرى ، بل إلى طاقة روحية تحتاج إلى ممارسات  
وتدريبات شاقة وطويلة حتى تصل إلى آفاقها المرجوة  
فى عالم الأرواح والجن ! وهذه الطاقة لا تتأتى بل  
ولا يفهمها أو يدركها أى إنسان حتى لو كان فى  
شوق حارق للحصول عليها . ولذلك لا جدوى من  
شرحها للمحقق الذى لا يهيمه سوى النتائج العملية  
والمادية الملموسة لهذه العملية الروحية !

حكى أبو الليل كل تفاصيل استدعاء شهورش  
وطاقمه بما يطابق ما قاله حجر تماما ، بل إن حورية  
أضافت تفاصيل استقبالهم بين المقابر واصطحابهم  
إلى مطار القاهرة كى يبدوا خبراء حقيقيين قادمين  
من نيويورك ! ثم حلل أبو الليل أقوال الشهود  
المتعارضة والمتناقضة على أنها صحيحة تماما لأن  
الجن لا يخضعون لقيود المكان أو الزمان ، فهم

يظهرون ويختفون حيث يشاؤون ! فالدكتور شداد صادق عندما يقول إن شهورش التقى به وقدم له تقريره النهائي بحضور حورية في مكتبه بالهيئة ، ورجال الأمن السريون الذين أحاطوا بالهيئة صادقون أيضا عندما إنكروا رؤيتهم له وهو يدخل المبنى !!

واصل البروفيسير أبو الليل تحليلاته وتفسيراته في حين استعاد المحقق في مخيلته رعشة النشالين كلما ورد ذكر شهورش في أسئلته لهما ؛ وعجز عامل المجارى عن إدراك حقيقة الرجل الذى انقذه في اللحظة الأخيرة قبل غرقه ؛ ولوثة الرئيس السابق لجهاز « مكافحة الجهل » بحيث فضح كل أسرار المشينة بنفسه أمام الجميع ، والتي سجلها الجنى وafd وسلمها للصحافة ؛ وحرقة الدكتور أنور عبد الحفيظ في حديثه عن شهورش الذى يبدو أنه عراه تماما - أمام نفسه وأمامه على الأقل - فبدأ موتورا منه ! أما انتحار الدكتور الخلفاوى رئيس « جهاز منع الانفجار السكانى » بطريقة مفاجئة ومحيرة وهو الذى عرف بعشقه الجنونى للحياة وملذاتها ، فأمر يثير الف علامة استفهام خاصة فيما يتصل بالجمال الساحر الذى تميزت به الجنية باندورا والذي خلب ألباب كل موظفى الجهاز الذين

وقعت عيونهم عليها أو لمحوها في لحظات خاطفة !!  
وهى علامات استفهام غير بشرية على الإطلاق !!

انتهى البروفيسير أبو الليل من تحليلاته  
وتفسيراته بأنه كان من الطبيعى لشمهورش وطاقمه  
أن يعودوا إلى مملكتهم بطرقهم الخاصة بعد أن  
جرى ما جرى ! فقد كان من المستحيل أن يعودوا  
بالطريقة التى جاءوا بها وكل أجهزة الأمن فى  
أعقابهم فى كل حركاتهم وسكناتهم وكلماتهم  
وهمساتهم ! ومع ذلك خلص شمهورش نفسه من أى  
إحساس بالذنب بحضوره بنفسه لمكتب الدكتور شداد  
لتقديم تقريره النهائى وتوديعه قبل سفره . ولذلك  
فإن الدكتور حجر على حق عندما قال إنهم لم ولن  
يجدوا هؤلاء الخبراء الأجانب بعد أن أعياهم البحث  
عنهم !!

أسقط فى يد المحقق وهو يشكرهما على مشقة  
الحضور ، وبمجرد انصرافهما هبط على رأسه سؤال  
جثم عليه كالكابوس :

- ماذا سيكتب فى تقريره الذى تنتظره الوزارة  
بفارغ الصبر ؟! الوزارة التى تسأل عن نتيجة  
التحقيق كل نصف ساعة تقريبا ؟! هل يمكن أن

يجمع طافهم مساعديه كعادته عند صياغة كل تقرير  
ويقص عليهم أساطير الجن والأرواح والعفاريت ؟!  
واضح أنه سيصوغ التقرير بنفسه حفاظا على مريته !  
لكن ماذا سيكتب فيه ؟! هل يقول لرؤسائه إن  
الشائعات التي يرددنها رجل الشارع حقائق واقعة ،  
وإنه لا نار بغير دخان ؟! وإن الإنسان المصرى بحسه  
الفطرى اللماح نادرا ما يخطئ ؟! وماذا يمكن أن  
يحدث لو تأكد الناس أن الجن والأرواح والعفاريت  
تتحرك بين ظهرانيهم دون أن يدروا ؟! لابد أن  
النصابين والدجالين والمحتالين والمشعوذين سيمسكون  
بزمam الأمور ، وستسود فوضى يصعب حصارها  
وخنقها ؟! إن ما يريح صدره حقا كحقيقة واقعة  
بالفعل أن هؤلاء الجن قد رحلوا عن دنيانا وذلك  
باعتراف الوسيط الذى أتى بهم واستدعاهم !! وبالتالي  
لابد أن تعود الأمور إلى سيرتها الأولى ! والديمقراطية  
لا تعنى مضارحة الشعب بكل الحقائق ، وخاصة تلك  
التي يمكن أن يكون ضررها أكبر من نفعها ! وهل يعرف  
البشر - في أعرق الديمقراطيات - كل حقائق السياسة  
وأسرارها في بلادهم ؟!

آه !! لقد قضى ما يقرب من ثلاثين عاما في مناصب  
الذnابة والقضاء حتى تبوأ أرفعها ، ولذلك وقع عليه  
الاختيار خصيصا لحسم هذه القضية الحساسة والخطيرة

التي لا يمكن التكهّن بأبعادها وتداعياتها ! لكن كيف  
يحصمها وهو جالس عاجز بهذا الشكل أمام مجرد  
صياغة تقرير كتب ألفا مثله من قبل ؟! بل إن  
عجزه هذه المرة أشد وطأة وقسوة من عجزه أمام  
أول تقرير شرع في صياغته منذ ثلاثين عاما !! إن  
إرهاقه ليس السبب في هذا العجز ! فقد كان الإرهاق  
رفيق دربه دائما ويمكن قضاء الليل بطوله ساهرا في  
كتابة التقرير بمفرده لكن ماذا سيكتب ؟! ماذا  
سيكتب ؟!

عاد السؤال يدق رأسه بمطربة من حديد  
ولم إجابة !!

• • •

كانت قاعة مجلس الشعب مكتظة بالأعضاء على غير العادة ، ذلك أن الأعضاء لا يعيرون التفاتا لغير القضايا التي تهم أشخاصهم ودوائرهم ، ولذلك كثيرا ما انتقد المواطنون غيابهم عن جلسات المجلس ، خاصة عندما يناقش قضية قومية عامة ! وكان منظر المقاعد الخالية التي تستعرضها عدسات التلفزيون ظاهرة مثيرة للسخرية والرتاء ! لكن يبدو أن مجلس الشعب لم يشهد جلسة مثيرة مثل هذه ! الزحام داخل القاعة يكاد يزهق الأنفاس أما الشوارع والميادين والطرق خارجها فقد خلت تماما من البشر ، بشكل أوضح مما يحدث أثناء مباريات الأهل مع الزملاء ! فقد كانت الجلسة مذاعة على الهواء ، فقبح كل الناس سواء في البيوت أو الأندية أو المقاهي أمام شاشات التلفزيون في انتظار بيانى وزير الداخلية ووزير التنمية الإدارية اللذين استعدا لمواجهة أحزاب المعارضة المتربصة بهما والتي أصرت على استجوابها لهما بشأن الأحداث الأخيرة التي لم يعد للناس حديث سواها !

وكان أشد الناس قلقا وشوقا لمتابعة وقائع هذه الجلسة ، هؤلاء الذين شاركوا بطريقة أو بآخرى في صناعة هذه الأحداث : الدكتور حجر والدكتور شداد وحورية والأستاذ عبد العليم والدكتور انور عبد الحفيظ بل وعامل المجارى أيضا ! حتى البروفيسر أبو الليل كان في غاية الشوق وهو يجلس أمام التليفزيون مع حورية وشداد في انتظار الجلسة المثيرة ، لكن توقعاتهم لم تطابق توقعات شداد الذى أخذ من حكاية العفاريت التى تأتى بالأعاجيب مادة للتندير والفكاهة والسخرية ! أما أبو الليل وأبنته فقد عجزا عن تخمين ما سوف يرد فى البيان وخاصة بعد اقتناع المحقق بأقوالهما ! أما المحقق فهو الوحيد الذى دخل غرفة نومه وطلب من زوجته ألا توقظه بعد أن ظل يومين متتاليين بلا نوم على الإطلاق !

افتتح رئيس المجلس الجلسة بكلمة مقتضبة دعا بعدها وزير الداخلية لالقاء بيانه والرد على أسئلة السادة الأعضاء . سار وزير الداخلية عبر الصفوف بثقة وطمأنينة وابتسامة عريضة على وجهه حتى بلغ المنبر الذى وضع أوراقه عليه ، ثم أخرج النظارة الطبية ليضعها على عينيه وشرع فى إلقاء بيانه . وقد

عشش الصمت في رؤوس الحاضرين لدرجة أن بعضهم  
بدا وكأنه كنم 'نفاسه :

- بسم الله الرحمن الرحيم

السادة أعضاء مجلس الشعب الموقر :

جئت إليكم وأنا أعلم علم اليقين ما يعتمل في  
عقولكم وقلوبكم . قد أكون قد تأخرت عليكم بعض  
الوقت لكنني لم أشأ أن أحدثكم إلا بعد اكتمال  
الصورة تماما أمامي بحيث أنقلها إليكم لتجيب على  
كل الأسئلة الحائرة والمخاوف الغامضة التي اجتاحتكم  
في الأيام الأخيرة . وبرغم ثقتي منذ بداية الأمر أن  
الموضوع لا يتعدى مجال الشائعات الكاذبة ، إلا أنني  
أردت أن أتيقن مثلكم مادام الأمر استفحل الى هذا  
الحد وكثر فيه القيل والقال على مستويات عدة .  
وفي اعتقادي ، واعتقد أنه في اعتقادكم أيضا ، أن  
ثقتنا في دقة التحريات التي تقوم بها أجهزتنا  
لا يشوبها أي شك .

وكانت النتيجة التي بلغت أجهزتنا أن الذين  
جاءوا إلى مصر خبراء حقيقيون أوفدهم البرلمان  
الأوروبي وليس الأمم المتحدة ، وذلك نظرا للعلاقات



الوثيقة بين مصر ودول أوروبا الغربية على وجه التحديد . وهم من مواطنى إمارة ليششتاين ومن اكبر خبراء الإدارة فى العالم . وقد قاموا بمهمتهم خير قيام على حد تأكيد زميلى الدكتور وزير التنمية الإدارية لى . وفى نهاية المهمة قدموا تقريراً دقيقاً عنها ، وغادروا مصر مشكورين منذ ثلاثة أيام . وأقول « مشكورين » لأنهم لم يتناولوا أى أجر عن عملهم ، ولم يكلفوا خزانة الدولة سوى تكاليف إقامتهم بالفندق وانتقالاتهم بين المواقع التى زاروها لإجراء أبحاثهم الميدانية ، وهذا اضعف الإيمان !

أما حكاية الجن والعفاريت والأشباح فقد تتبععتها أجهزتنا خطوة خطوة فلم تعثر على دليل ماضى ملموس واحد ! ولا أخفى عليكم أننى لم أكن متحمساً منذ البداية لإجهاد أجهزتنا فيما لا طائل من ورائه ، فيكفيها مهام الأمن القومى الملقاة على عاتقها ، لكن عندما استشرت الشائعات وتضخمت بحيث أثرت على السلوك اليومى للأفراد واقتربت من دائرة الأمن القومى ، أصدرت تعليماتى على الفور بتحريك الأمر بكل تفاصيله الدقيقة حتى نقطع كل السنة القيل والقال ، ونقضى على كل محاولات مروجى الشائعات الذين يريدون جنازة كى يشبعوا فيها لطمساً !

سكت الوزير ليرتشف شربة ماء من كوب أمامه ،  
فإذ بعضو ينهض واقفا ويصرخ متشنجا لعل الحاضرين  
يسمعونه بدون مكبر صوت :

- وهل يعقل أن يكون كل الذين راوا هؤلاء  
الأشباح مغفلين أو واهمين أو مخدوعين أو كاذبين ؟!  
ولماذا حدث ما حدث في هذه الأيام بالذات ولم  
يحدث من قبل إذا كان الناس مهيتين بهذا الشكل  
لتصديق الأوهام والكاذيب ؟!

لم يفقد الوزير ابتسامته الواثقة وهو يرد عليه :

- وأنا أسأل العضو الموقر بدورى : وهل يصح  
أن نقول بوجود عفاريت بيننا ونحن في أواخر القرن  
العشرين ؟! وأن نجد من بين السادة أعضاء المجلس  
الموقر من يقر بوجودهم ؟! أنا لست رافضا أو  
مصادرا لأي فكر من أي نوع ونحن نتمتع بهذا المناخ  
الديمقراطي ، لكن من يصر على وجود العفاريت  
عليه أن يثبت ذلك بالدليل المادى القاطع وليس  
بالصراخ والتشنج ! فاجهزتنا لا تأخذ بالشبهات أو  
الشائعات وإن كانت قادرة على قطع دابرها ! وحتى  
لو نجح العضو الموقر في إثبات وجود العفاريت بيننا  
فعليه أن يتفضل بتوجيه استجوابه إلى وزارة أخرى

غير وزارة الداخلية التى لا تتعامل ولا تخدم سوى  
البشر . وإذا لم يجد وزارة مختصة بشئون العفاريت  
فعلية أن يطالب بإنشائها !

ضجت القاعة بالضحك والقهقهة ، والتفت عضو  
قضى معظم حياته فى إنجلترا قائلاً لجاره :

- رائع .. رائع .. أصبحنا مثل مجلس العموم  
نملا القاعة بالنكات والقفشات والضحكات بدلا من  
الكلمات الصارخة المتشنجة !

تابع الوزير الضحك باستمتاع شديد وظل صامتا  
حتى بعد انتهائها وهو ينظر بتحد لآى عضو تسول  
له نفسه أن يفاجئه بسؤال ! وعندما لم يجد بغيته  
استأنف بيانه :

- إن أشد ما يبعث على الضيق والأسف بل  
الأسى هو سرعة تصديقنا للشائعات حتى لو كانت  
مستحيلة ، بحيث يبرز هنا سؤال يطرح نفسه بشدة  
علينا جميعا من فوق هذا المنبر : هل نحن أو هل  
أصبحنا من السذاجة بحيث يمكن أن نصدق أى شيء  
حتى لو كان غير معقول على الإطلاق ؟! وإذا كانت  
الإجابة بالإيجاب على هذا السؤال فإن هذا يعنى  
أننا توقفنا عن استخدام عقولنا !

ليس هناك ما أضيفه إلى ما قلت . بل إن هذا الموضوع لم يكن يستحق أن يطرح أساسا للمناقشة ، فلا أساس له على الإطلاق ، وأؤكد لحضراتكم أنه لم يكن سوى زوبعة في فنجان ، وكلى أمل أن نستفيد من هذا الدرس بحيث لا نضيع طاقتنا الفكرية وجهدنا العقلى وكياننا النفسى والاجتماعى فى ترهات وتفاهات فى عصر ينطلق فيه العالم المتحضر بسرعة الصواريخ والأقمار الصناعية إلى آفاق بعيدة وشاسعة لم تبلغها الإنسانية من قبل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ضجت القاعة بالتصفيق الحاد والوزير يللمم أوراقه ويخلع نظارته ليعود إلى مقعده فى زهو وهو يشنف أذنيه بهذه السيمفونية العذبة المنتصرة التى توقفت مع دقائق المطرقة التقليدية ليعلن رئيس المجلس تقدم وزير التنمية الإدارية لإلقاء بيانه الذى سيرد فيه على استجوابات السادة الأعضاء .

وقف الوزير على المنبر ليقول بنبرات تحمل رنة الانتصار :

- بسم الله الرحمن الرحيم -

قد تدهشون سيادتكم باعترافي بسعادتي البالغة  
بهذه الزويدة التي تحدث عنها زميلي الفاضل وزير  
الداخلية ، بل ونشوتى بحكايات العفاريث المثيرة  
إذا كانت قد شكلت وعينا عاما بقضية من أخطر قضايا  
الإنطلاق الحضارى ألا وهى قضية « الإدارة  
الحديثة » . فهى الزيت أو الشحم الذى يمكن الآلة  
القومية كلها من الدوران والإنتاج بكل طاقتها .  
فأهلا وسهلا ومرحبا بالعفاريث إذا قاموا بمساعدتنا  
فى حل مشكلاتنا الإدارية ! وأقسم لكم أننى لو كنت  
أملك طريقة لاستدعائهم لما تأخرت أبدا ! فهم  
قادرون ولاشك على تفجير أعظم ثورة إدارية فى  
التاريخ !

ضجت القاعة بقهقهات متصلة ، فى حين تبادل  
أبو الليل مع حورية نظرات باسمة لم يلمحها شداد  
الجالس بينهما يتابع الجلسة فى التلفزيون فى منزلهما  
باهتمام شديد ! بل إن الضحك كان يضايقه للهفته  
لمعرفة ما سوف يدلى به الوزير الذى استأنف حديثه  
قائلا :

- لكن ما يهمنى من هذا كله أن الخبراء الأجانب الذين جاءوا هذه المرة أكدوا حقيقة كان يقاومها التيار القديم الذى يمثلته الدكتور حسين حجر رئيس « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » ، فى حين كان يؤيدها الدكتور أحمد شداد نائبه . . ألا وهى أن أبناء الوطن أقدر الناس على حل مشكلاته الإدارية لأنهم أدرى بطبيعة مواطنيهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والحضارية . وكان هذا هو جوهر التقرير الذى قدمه كبير الخبراء الأجانب قبل عودتهم إلى بلادهم . وفى هذا المناخ الديمقراطي لابد أن أعترف أمام حضراتكم بهذه المفارقة العجيبة على سبيل النقد الذاتى ، وهى المفارقة التى تتمثل فى تخلصنا من عقدة الخواجة بمساعدة الخواجة نفسه ، وكأننا كنا فى حاجة إليه كى يضع أيدينا على هذه الحقيقة التى تقترب من البدهية . وكان نتيجة هذا التقرير أن قدم الدكتور حسين حجر استقالته من رئاسة « الجهاز الأعلى للإدارة العليا » كى يفسح الطريق للدماء الجديدة .

قاطعته القاعة بتصفيق مدو سرى فى عروق الوزير بدفقات نشوة رائعة فى حين فغر الدكتور حجر فاه وهو يتابع الجلسة فى بيته . لم يصدق ما انطلق من

شاشة التلفزيون وكأنه طلقات رصاص سكنت في صدره  
واعقبها تصفيق الأعضاء كقنابل انفجرت حوله من  
كل جانب فشقق وسقط مغشيا عليه ، فصرخت زوجته  
وهي تدق صدرها طالبة النجدة من الأبناء والجيران !!

لم يوقف رئيس المجلس التصفيق بمطرقته المعهودة  
بل تركه يستمر الى آخر مداه حتى ساد السكون مرة  
أخرى ليجلجل صوت الوزير مكررا نبأ الاستقالة  
السعيد :

- قدم الدكتور حسين حجر استقالته من رئاسة  
« الجهاز الأعلى للإدارة العليا » كي يفسح الطريق  
للدماء الجديدة ، كي ترسخ التيار الجديد الذي يمثله  
الدكتور أحمد شداد والذي أصدرت اليوم قرار تعيينه  
في المنصب الذي خلا باستقالة الدكتور حسين حجر !

دوت القاعة بالتصفيق مرة أخرى والدكتور شداد  
في جلسته أمام التلفزيون بين حورية وأبيه لا يصدق  
عينيه وأذنيه ، والاب يقبله في وجنته اليسرى في حين  
قبلته حورية لأول مرة في وجنته اليمنى فلم يسعه  
سوى أن يحتضن يدها بيده ويربت عليها بحنان دافق  
وهو يقول في تأثر بالغ :

- حفظكما الله لى عوننا وذخرا !!

فقال البروفيسير أبو الليل فى ثقة هادئة :

- كنت أتوقع هذا منذ أن عرضت فكرة استدعاء ..

تذكر أبو الليل عدم معرفة شداد بحكاية الجن أصلا بل وعدم اقتناعه بها فامسك عن الكلام فجأة وشداد يسأله :

- هل كانت فكرة استدعاء الخبراء فكرة سيادتك ؟!

-- ليس بالضبط .. كانت فكرة الدكتور حجر وأنا شجعتة عليها .. فأنت تعلم مدى الصداقة الوطنية التى بيننا !!

دهش شداد لتساؤلات داخله ، عن استشارة حجر لعالم أرواح ومنوم مغناطيسى ، حول مدى وجاهة استدعاء خبراء أجانب جدد ، لكن سرعان ما طغى إنصاته لبيان الوزير على هذه التساؤلات الجانبية . فقد كان الوزير يختتم بيانه وهو يهدىء من إيقاعه :

- وبذلك يمكننى القول بلا فخر بأننا على أعتاب



ثورة إدارية جديدة ستلمسون آثارها العملية قريباً  
بإذن الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دوت القاعة بتصفيق مقتضب وتلمل من بعض  
الأعضاء وكانهم على وشك النهوض للانصراف ، فلم  
يعد في مقدورهم احتمال البقاء أكثر من ذلك ! فدق  
رئيس المجلس المنصة بمطرقته سائلاً :

- هل هناك أسئلة أو تعليقات أو تعقيبات أو  
استفهامات ؟

رفع بعض الأعضاء أيديهم لكنهم قولوا من  
معظم الأعضاء بتمتات الاستنكار وصريير الأحذية  
المحتكة بالأرض إيثانا بالنهوض والتحرك ، فدق  
رئيس المجلس مطرقته مرة أخرى قائلاً بحسم :

- رفعت الجلسة !

• • •

تمت

رقم الايداع ٨١٢٩ لسنة ١٩٩٢

مطابع سجل العرب



